المختصر في تاريخ حضرموت

تأليف : محمد عبدالقادر بامطرف

المختصر في تاريخ حضرموت

تأليف : محمد عبدالقادر بامطرف

ما قبل الكتاب

يأتي هذا الكتاب الإصدار الأول في سلسلة (كتاب حضرموت) فاتحًا تتابعًا من الإنتاج الثقافي الذي سيتوالى متناولًا الأدب والشعر والنقد وعلم الاجتماع واللغة والنحو والتاريخ والجغرافيا والأنثروبولوجيا وغيرها فيما يخص اليمن أولًا، والعالم العربي ثانيًا، فمنذ أن تأسست دار حضرموت للدراسات والنشر في عام ١٩٩٧ م والقائمون عليها يرون ضرورة إصدار هذه السلسلة المتنوعة ويتوخون لها أن تتوالى مرسومة بخطوات متكاملة قدر الإمكان، من أجل الإسهام في إنجاز الواقع الثقافي بطرق أكثر فاعلية وشمولًا، ومن هنا فالتنويع في هذه السلسلة يجيء بحثًا عن النقاط الأكثر أهمية للدرس والبحث والقراءة بدل التوجه طوليًّا في تسلسل موحد الموضوع والتخصص، قد لا يلبي حاجات القراءة المختلفة.

إن هذه المجموعة من الإصدارات تمثل ما يمكن وصفه بـ(عملية تكون وتركيب)، آليتها الضابطة لها هي الحالة الثقافية في اليمن في تطورها وهبوطها الراهنين، بحيث تهدف – من جهة التكون – إلى تأمين الحد الأدنى من المعرفة بالتاريخ والثقافة والأدب للناس عامة، وتهدف – من جهة التركيب - إلى إدخال المكتوب في بنية المجتمع الثقافية البارزة، فالكتاب بوصفه حاملًا للفكر ودالًّا عليه يحمل تغييرات تطورية مستمرة تتطلبها الشرائح المثقفة عادة وترنو إليها، فكل كتاب قيِّم في موضوعه ومادته يقدم وصفه للتقدم أو للمراجعة أو للتساؤل أو للمعرفة العلمية المحض، سواء جاء هذا الكتاب من الخارج، أم من التراث، أم من الواقع المعاصر، المهم أن <١٠> يقدم ركيزة لتنوير الذات وإضاءتها، ومن ثم يساعد في قدرتها على فهم الواقع، ومواطن التأثير فيه، ومعرفة موقف الآخرين في هذا الواقع من خلال ردودهم على المكتوب في عملية من التحاور التي تعمل على ترصين الهوية الثقافية للمجتمع وتعميقها، ولعل مما يساعد على هذا هو العمق التاريخي والحضاري لليمن، وما يشهده المجتمع اليمني راهنًا من تحرك نحو مؤسسات المجتمع المدني والديموقراطية.

إن الكتاب في تحوله إلى أداة فاعلة في المجتمع يغطي غاية الثقافة في بعديها النظري والعملي، فهو فكر من حيث بنيته الذهنية، وهو ممارسة من حيث سيرورته في الواقع وتأثيره فيه، وذلك يتأتى أساسا بما هو رصين من الكتب في علميته ومنهجيته، بعيدًا عن الكتب الانفعالية والعفوية التي لا تحكمها أُصول علمية ومسببات ونتائج، وإن الكتاب حينما يُنجَز على هذه الشاكلة يُقدم حضوره في المجتمع بوصفه واحدًا من أجهزة التأثير، وأجهزة المعرفة، وهو- فضلًا عن ذلك - يوفّر تطلعًا أفضل لما سوف يأتي، المهم ألا تغيب عنه الروح النقدية ولا عن قارئيه، والمقصود بالروح النقدية هنا المقدرة على التشخيص والمساءلة والتحليل الذي يضع خيار التطور في جملة قضاياه الأساسية، ويحذر من الانغلاق وأحادية الرؤية التي تفتح الطرق للاستبداد الفكري والسياسي والمعرفي، فكل انغلاق وإن اتصف بوعي ما يمكن توصيفه بأنه وعي غير سوي تمامًا، ذلك أن الحدود حينما ترتفع تدخل في شطط الحصر، ومن ثَمَّ في شطط الإيهام بالمعرفة في حلقة مفرغة ما دامت لا تُضاء بالمستجد أو بالآخر فترتفع لذلك الأهواء والتعصب. <١١>

إن دار حضرموت للدراسات والنشر وقد بدأت بكتاب الاستاذ المرحوم محمد عبد القادر بامطرف (المختصر في تاريخ حضرموت العام) ليتلوه كتاباه (تاريخ ما أهمله التاريخ لمحات من تاريخ جزيرة سقطرى) و(معجم الأمثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت) فإنما هي تبدأ بالجذور رغبة منها في تأكيد نيتها في هذه الخطوة الأولى من نشاطها على إخراج ما هو معاصر من منتوجنا الثقافي وابتعاث ما تداولت عليه السنون، وفي ذلك إشارة الى ما تم التطرق إليه قبلًا من محاولة تنظيم الإصدارات وتكاملها حسب الحاجات لا الرغبات، ونأمل أن تعيننا آراء القراء المختلفة على ضبط هذه الإصدارات وتصويبها، بحيث نتعاون معًا في إدارة شئون الكتاب، فمطالبنا الاساسية هي الكتاب والقارئ حين لا يكون جهة جامدة بإزاء ما يُنشر بل يشحذنا دومًا كما نحاول نحن شحذه على ما في ذلك من شقة قد تبدو للطرفين تتمثل فحواها في عدم القبول بنقد الرأي أو الإضافة إليه أو خلخلته، غير أن أُلفة ذلك ستتم من

خلال إفساح المجال لآلية النظر العقلي الموضوعي الذي يدرك ما عليه من خلال ما له، أي يدرك موقعه المعرفي التاريخي الذي لا يمكن أن يكون إيجابيًّا تمامًــا انطلاقًا من نســبيته، وفي هذا المنحى تلتقي رغبة الحرية في القــول بالنظــام، بوصفهما وجهين لورقة واحدة، أي تلتقي الرغبة الخاصــة في الطرح بــآراء الآخريــن وتوجهاتهم المحكومة بظرفها التاريخي والمعرفي، ويلتقــي المتعــدد بالمجرى الاساسي للنهر. <١٢>

نأمل لدار حضرموت أن تكون كما نظن، أو بعضًا مما نظن، ومن الله التوفيــق والسداد.

د. عبد القادر علي باعيسى

عضو المجلس الاستشاري

لدار حضرموت للدراسات والنشر

المكلا يوليو (تموز) ٢٠٠١ م <١٣>



المقدمة

يضم هذا الكتاب الصغير نبذًا مختصرة من تاريخ اليمن، مرتبة ترتيبًا زمنيًّا على مدى أكثر من ثلاثة آلاف عام، وقد أسميته المختصر في تاريخ حضرموت العام وهو مؤلف من فصلين، أحدهما يختص بتاريخ اليمن القديم، والآخر يختص بتاريخ حضرموت الوسيط والحديث، وهو محور الكتاب.

لماذا إذًا سُمي الكتاب ب (المختصر في تاريخ حضرموت العام)؟

وبحكم طبيعة هذا الكتاب المختصر، فإنني لم أتعرض فيه لتاريخ ثورتي اليمن المجيدتين ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م و١٤ أُكتوبر ١٩٦٣م لأنه لكل من هاتين الحركتين التاريخيتين العظيمتين تاريخهما المستقل الذي يعده رجال متخصصون أكفاءٌ.

وقد قصدت من وضع كتابي هذا تسهيل سبل الاطلاع على شيء من التاريخ اليمني لغير المتخصصين الذين لا تتسع أوقاتهم، بحكم أعمالهم المكثفة والمضنية، لمطالعة الكتب المطولة عن تاريخ اليمن في أعصره المختلفة، وآمل أن سيتمكن القارئ من الإحاطة بمحتوياته في سهولة، وعسى أن أكون قد وفقت فيما هدفت إليه بهذا العمل المتواضع.

إنني أشكر الإخوة الذين أسهموا في إبراز هذا الكتاب إلى حيز الوجود وأخص بالذكر الأخ/ الأديب عبد الله صالح حداد على مساعدته القيمة في تبييض مسودات الكتاب فله جزيل الشكر.

المؤلف.. <١٥> ***

الفصل الأول
لمحة من تاريخ اليمن القديمة

لا بد من الإشارة هنا إلى أن الكثيرين من المغرب والمسلمين الذين أرخوا لممالك اليمن القديمة إنما كانوا منطلقين غالبًا من معلومات أسطورية، أو مما رواه بعض مفسري القرآن الكريم الذين أقحموا على تفسير بعض آيات الله البينات أُمورًا ما أنزل الله بها من سلطان، أو أنهم كانوا مندفعين بعوامل عاطفية. ولذلك تجنب بعض المؤرخين الخوض في تاريخ اليمن القديمة.

وعلى العموم كانت التواريخ اليمنية القديمة عشوائية في تعاملها مع الأخبار التي كانت سائدة عن اليمن، ولذلك كاد أن يكون تاريخ اليمن القديم الحقيقي قد أُهمل في أكثر جوانبه وخاصة من قبل ابناء اليمن أنفسهم.

ولم يظهر بعض تاريخ اليمن القديم الصحيح إلا من خلال الاكتشافات الآثارية على أيدي المستشرقين من أمثال إدوارد جلازر Edward Glazar، وكارستن نيبور C. Nibur، ويوسف هاليفي J. Halevy وغيرهم.

إن الآثار المطمورة والنقوش التي لا تزال مستورة تحت الرمال والأنقاض لهي المصادر التي يؤمل أن تميط اللثام عن الكثير والكثير <١٦> مما ظل خافيًا إلى اليوم من تاريخ اليمن القديم، وإن لمن المؤسف القول بأن المصادر الآثارية اليمنية القديمة، وخاصة ألواح النقوش، إما قد تعرضت للطمس أو للتحطيم أو التشويه أو بإدخالها في عمارة بعض الحصون أو المساجد في العصور الوسطى داخل اليمن، لكن من الواجب القول أن حكومتي ثورتي اليمن المجيدتين في جنوب اليمن وشماله[١] لهما الفضل الأكبر في فتح الأبواب المغلقة أمام العلماء النزهاء للبحث والتنقيب عن آثار اليمن والاهتمام الكبير بالموجود منها على سطح الأرض، ليُستدل بها على تاريخ عهد أو عهود من تاريخ اليمن القديمة ظلت مجهولة الهوية والمعالم في معظم جوانبها إلى اليوم.

---

(١) ألفّ الكتاب في عهد التشطير، ومعلوم أن المؤلف تُوفي في عام ١٩٨٨ م. لذا وجب التنبيه

أقسام اليمن الطبيعية

النصوص الآثارية المكتشفة لممالك العربية الجنوبية لم تُثبت لليمن حدودًا، ولكن المؤرخين على أي حال، تعارفوا على تقسيم اليمن طبيعيًّا إلى ثلاثة أقسام، وهي كما يلي:

١- منطقة تهامة:

ذات المناخ الحار، وتمتد من باب المندب جنوبــًا إلى منطقــة حــرض شــمالًا (حاليًا)، وتمتاز بأن بعض مناطقها خصبة وبها ميــاه جوفيــة وســطحية ذات غزارة.

٢- المنطقة الجبلية:

أو ما يسميها بعضهم (الهضبة الوسطى)، وهي ذات مناخ <١٧> معتدل، وتمتد من سلسلة جبال (السرات) التي تبتدئ من منطقة المعافر (الــيمن الاســفل أو الحُجَرِيّة) جنوبًا إلى عسير ثم الطائف شمالًا ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر من ١٠٠٠ إلى ٣٦٠٠ متر، وهي من أهم مناطق اليمن الزراعية إنتاجًا للــبن وأنواع الحبوب وأنواع الفاكهة، وتهطل على بعض أجزاء هذه المنطقة أمطــار غزيرة في الصيف وفي الشتاء، إلا أن أمطار الشتاء أقل غزارة.

٣- المنطقة الصحراوية الشرقية:

وتمتد من محافظة حضرموت جنوبًا، وأطراف الربع الخــالي شــمالًا، وعُمَــان شرقًا. وفي هذه المنطقة توجد آثار مملكة معين، وممالك حــضرموت، وســبأ، وقتبان، وحمير، وقد حظيت هذه المنطقة في الماضــي بازدهــار عظــيم فــي المجالات التجارية والزراعية والعمرانية والسياسية، وتُعد من أقدم المناطق في العالم التي عرفت اساليب الري المتطورة التي كانت تعتمد على السدود، وكــان بها العديد من بقايا القصور والمحاقد (الحصون والمعسكرات) والمعابد مما يرجع إنشاء بعض منها إلى ما قبل (٣٥٠٠) عام تقريبًا.

إن أعلى قمة في الهضبة الوسطى اليمنية لهي قمة جبل حضور (ويسمى أيــضًا جبل النبي شعيب) غرب مدينة صنعاء وارتفاعها حوالي (٣٧٠٠) متر عن سطح

البحر، وفي محافظة حضرموت فإن أعلى قمة لهـــي (كورســـيبان) وارتفاعهـــا حوالي ١٩٠٠ متر عن سطح البحر. <١٨>

ممالك اليمن القديمة

الممالك اليمنية القديمة التي أظهرتها النقوش الآثارية المكتشفة خمس ممالـــك، وبيانها كما يلي حسب تقادمها التاريخي:

١- مملكة معين:

وقد بدأت من القرن الرابع عشر قبل الميلاد وانتهت عام ٨٥٠ قبـــل المـــيلاد. وكانت عاصمتها الأولى (قرنـــاو) ثم تحولت عاصـــمتها إلـــى (معـــين) وتقـــع العاصمتان في منطقة الجوف.

٢- مملكة حضرموت:

وقد بدأت عام ١٠٢٠ قبل الميلاد وانتهت عام ٦٥ بعد الميلاد وكانت عاصمتها شبوة، إن منطقة هذه المملكة معروفة مشهورة إلا أنها تقلصت في أدوار تاليـــة من التاريخ. فبعد أن كانت حدودها الأصلية الشرقية تبدأ في الساحل من ظفار. وتنتهي في الغرب إلى خلف وادي ميفعة، وكانت تشمل وادي جردان في الشمال الغربي، والصحراء الواقعة إلى شمال ظفار المعروفة باسم (مقشن) في الـــشرق الشمالي، إلا أنها اليوم تبدأ من راس الكلب (على الساحل) وتنتهي إلى الـــدُّمخ حساي (في الساحل). وقد انتزع آل بو سعيد سلاطين عمان ظفار من حضرموت عام ١٣١٥ هـــ - ١٨٩٧ م.

٣- مملكة سبأ:

وقد بدأت عام ٨٥٠ قبل الميلاد بعد أن تغلبت على مملكة <١٩> معين، وانتهت عام ١١٥ قبل الميلاد بقيام مملكة سبأ وريدان الحميريتين. وكانـــت عاصـــمتها الأولى (صرواح) والثانية (مأرب) التي نقل السبئيون حكمهم إليها من صرواح.

٤- مملكة قتبان:

(بفتح القاف والتاء) وقد بدأت عام ٨٦٥ قبل الميلاد، وانتهت عـــام ٥٤٠ قبـــل الميلاد بعد أن تغلبت عليها مملكة سبأ الأولى، وكانت عاصمتها (تمنع) وتقع في

منطقة بيجان الآن. وتشمل هذه المملكة مملكة أوسان القديمة التي كان لها أول اتصال بالحبشة حيث قامت بها مملكة أكسوم اليمنية.

٥- مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنات:

وقد بدأت عام ١١٥ قبل الميلاد، وكانت عاصمتها (ظفار) وهي غير ظفار حضرموت. هذه المملكة مجهولة الحدود باستثناء الجزء الذي يُعرف بحضرموت وقد كان جزءًا منها.

وفيما يلي استعراض موجز عن تاريخ كل مملكة سبق ذكرها إتمامًا للفائدة... وننبه هنا إلى أن الباحثين والمستشرقين لم يتفقوا على رأي موحد حول تحديد أزمان هذه الممالك وعدد واسماء ملوكها ومدد حكمهم، ولذلك فإننا هنا سوف نورد ما ترجح لدينا من أقوال أولئك العلماء عن هذه الأمور بما يفي بالغرض المنشود.

إن الاكتشافات الآثارية الجارية الآن في المملكة العربية السعودية دلت على وجود مملكة يمنية سادسة وهي مملكة كندة <٢٠> القديمة وعاصمتها (قرية ألفاو) الواقعة بين منطقتي القبيلتين اليمنيتين الشهيرتين (الدَّوايسر) و(يام) وهما الآن داخل الحدود الجنوبية العربية للملكة العربية السعودية، وعندما نزداد معرفة بهذه المملكة (مملكة كندة) المكتشفة حديثًا، فإن الكثير مما نعلمه الآن عن قبيلة كندة اليمنية ربما اضطررنا إمَّا إلى شطبه وإمَّا إلى تعديله. <٢١>

***

مملكة معين

لقد جهل المؤرخون الإسلاميون القدامى هذه المملكة لعدم ذكر اسمها في القرآن الكريم. ولقد ظل تاريخ هذه المملكة مجهولًا حتى عـام ١١٧٤ هـــ (١٧٦٠م) حينما عثر مستشرقون على نقوش معينية مكنتهم من معرفة بـدء قيـام هـذه المملكة واستمرار بقائها، ثم تاريخ اندثارها على وجه التقريـب، وذلـك لعـدم العثور على ما يكفي من المستندات الزمنية، وقد برهنت الآثـار المكتـشفة أن مدينة (قرناو) كانت العاصمة الأولى لمملكة معين، وأن مدينة (معين) صارت في تاريخ لاحق العاصمة الثانية لها، وتقع العاصمتان المـذكورتان فـي المنطقـة الشرقية مما يلي الجوف كما أسلفنا.

ودلت الآثار المكتشفة أن هذه المنطقة (الجوف) من أغنى البقاع بالآثـار فـي اليمن، وبالمملكة هذه مدن أُخرى منها، على سبيل المثال، مدينة (براقش) وقـد تُذكر في الآثار باسم (يشل) أيضًا وكانت مركزًا للثقافة المعينية ومركزًا هامًّا من مراكز القوافل البريّة القديمة، وقد زرتها في شهر يوليـو مـن عـام ١٩٨٠ م فوجدت أغلب أجزاء سورها القديم قائمًا وكذا الحوائط الخارجية لبعض معابدها وقصورها.

أما ملوك هذه المملكة فيقال أن عددهم اثنان وعشرون ملكًا يكوِّنون خمس أسر هي:

أسرة أليفع، وهم أربعة ملوك.

أسرة وقه، وهم أربعة ملوك. <٢٢>

أسرة أب يدع، وهم ثلاثة ملوك.

أسرة يثع آل صديق، وهما ملكان.

أسرة كرب، وهم تسعة ملوك.

من أراد الاطلاع على قوائم أسماء هؤلاء الملوك فليرجع إلى المطولات التاريخية وهي على أي حال قوائم غير متفقة لا على الأسماء ولا على عدد وأزمان هؤلاء الملوك.

هذه المملكة هي أول مَن تفنن في اليمن القديمة في بنـــاء القـــصور والهياكـــل (المعابد) ووضع نظام الضرائب على التجارة والزراعة وسن توزيع الإيـــرادات العامة على الدولة والخاصة الملكية وعلى المشائخ والأعيان، وقررت أن تصرف الدولة من حصتها على بناء الأبراج والحصون، وحفر الخنادق، والجيش، وتعبيد الطرقات وما شابه ذلك من المرافق والمؤسسات العامة.

وكانت دولة معين هي أول من وضع قاعدة الضرائب على اساس العُشر نقدًا أو عينًا، وهي التي جعلت للذكر مثل حظ الأُنثيين في المواريث، وقد أخذ الإســـلام بهاتين القاعدتين في الخروج والإرث.

واليمنيون القدامى هم أول من سن أنظمة المجالس التشريعية في بلاد العـــرب، وكانوا يسمونها (المزاود) مفردها (مزود) أو - (مساود) مفردها (مسود).

وكانت للدولة (معين) صلات تجارية باليونان ومصر وفارس والهنـــد والـــصين وهذه الدولة هي التي أنشأت موانئ غزة وعسقلان في فلسطين وميناء صور في لبنان، منافذ لصادراتها إلى أقطار حوض البحر الأبيض المتوسط، وكانت هـــذه الموانئ همزة وصل بين القوافل <٢٣> البَريّة والتي تأتي من الاسعاء (الشحر) والقُنَا (بئر علي) وأدونوم (عدن).

ويزعم بعض المؤرخين أن حدود هذه المملكة امتدت إلى أعالي الحجاز وجنوب وغرب فلسطين وغرب لبناء، وربما أماطت اللثام آثار قد يـــتم اكتـــشافها فـــي المستقبل عن تأكيد هذه المزاعم.

***

مملكة حضرموت

حضرموت هي المنطقة اليمنية القديمة الوحيدة التي لا تزال تفتخر إلـــى اليـــوم بإحتفاظها باسمها وحدودها ومدنها منذ ثلاثة آلاف سنة وأكثر. أما بقية الممالك اليمنية القديمة فلا تُعرف إلى الآن على وجه التحديـــد مناطقهـــا ولا أهلهـــا ولا حدودها باستثناء عواصمها أو بعض المدن في بعضٍ منهـــا. ويـــروق لـــبعض الإخباريين تسمية حضرموت بالأحقاف وذلك لأن كلمة الأحقاف ذُكرت في القرآن الكريم عند ذكر آل عاد، ولكن القرآن لم يحدد مكان الأحقاف ولا مكان آل عاد، ولم تدل النقوش الآثارية المُكتشفة على مكان سمي الأحقاف. ولذلك نرى بعض واضعي الخرائط يطلقون اسم الأحقاف على مواقع عديدة في الجزيرة العربيـــة، وقد تناولنا هذا الموضوع بالتصحيح في ملاحظاتنا على الهمداني (نشرها المركز اليمني للأبحاث في شهر أُكتوبر ١٩٨٢ م بمناسبة عيد الاستقلال).

ولقد ذكرَت بعض النقوش أسماء مدن حضرموت مثل شام وسيئون وتريم واتفق الآثاريون على أن مدينة (شبوة) ليس غيرها <٢٤> كانـــت عاصـــمة مملكـــة حضرموت القديمة ومركزًا هامًّا للقوافل، وقد ظلت مركزًا للقوافـــل إلـــى عهـــد السلطان بدر بوطويرق في القرن التاسع الهجري (السادس عشر الميلادي).

وفي صفحة سابقة ذكرنا أن مملكة حضرموت كانت سنة ١٠٢٠ قبل المـــيلاد، ولكن هناك من المؤرخين من ذكر أنها قامت سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد، أي أنهـــا كانت موجودة في اليمن قبل قيام دولة معين وأن قدوم الحضارم إلى اليمن كـــان من شمال الجزيرة العربية وجنوب فلسطين، ولذلك عُدَّت أول الممالـــك اليمنيـــة القديمة في التاريخ.

وتدُل النقوش الآثارية أن مملكة حضرموت دخلت في حرب طاحنة مع جاراتهـــا الممالك اليمنيات المعاصرات لها إلى أن انتهى الأمر بالجزء الأكبر منهـــا إلـــى الاضمحلال سنة ١١٥ قبل الميلاد، بعد أن تغلبت عليها مملكة حِميَر، وأصـــبحت سنة ٢٧٥ بعد الميلاد تُعرف كجزء من مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنات.

إن كلمة (يمنات) أو (يمنت) كانت تُطلق على المنطقة الساحلية الواقعة شرق باب المندب إلى ظفار، وهي مقابلة لكلمة (تهامة)، التي سبق ذكرها، والتي تطلق على الساحل الغربي لبلاد العرب.

كانت حدود حضرموت الشرقية تشمل المهرة وظفار، وكان يُطلق على ملوكها اسم ملوك أرض اللبان، لأن أكثر واردات اللبان والمُرّ والأفاوية (أي أشجار الطيب) كانت تُنتج في ظفار وفي سُقُطرى، وكانت جزيرة سُقُطرى جُزءًا من أراضي ملوك اللبان كما تدل على ذلك النقوش الفرعونية المُكتشفة في (الدير البحري) في منطقة الأُقصُر بجنوب مصر، الذي أنشأته الملكة الفرعونية <٢٥> (حتشبسوت) التي كان أسطولها التجاري البحري يشتري اللبان والمُر والأفاوية من جزيرة سُقُطرى قبل ثلاثة آلاف عام.

واختلف المؤرخون حول عدد ملوك حضرموت وأسمائهم ومدد حُكمهم، فمنهم من جعلهم ثمانية عشر ملكًا، ومنهم من جعلهم سبعة عشر مَلِكًا، والمأمول أن يُحسم هذا الاختلاف باكتشاف آثارية جديدة، ومن أشهر ملوك حضرموت الذين ذكرهم المستشرقون، رغم اختلافهم فيما بينهم:

معدي كرب بن اليفع يثع الذي بدأ حُكمه حوالي سنة ٩٨٠ قبل الميلاد، وقد أُلحقت حضرموت بعد موته بمملكة معين إلى حوالي ٦٥٠ قبل الميلاد.

يدع آل بيين بن سمة يفع، وبعده دخلت حضرموت ضمن مملكة سبأ إلى سنة ١٨٠ قبل الميلاد.

يدع آل بيين رب شمس، وهو مؤسس اسرة جديدة في العاصمة شبوة، ولا يُعرف زمن حكمه.

العزيلط بن عم ذخر بن العز، وهو الذي أسره في الحرب شعر أوتر ملك سبأ وريدان الذي حكم بين عام ٨٠ و ٥٠ قبل الميلاد.

العزيلط يثع الذي انفرد بالجزء من منطقة حضرموت التي لم تستطع التغلب عليها سبأ، وكانت في الساحل، وعاصمته (الشحر) ولا يُعرف أين موقع هذه الشحر، وهو الذي دام حكمه إلى سنة ٦٥ بعد الميلاد كما ذكرنا من قبل.

أما الشحر الحديثة فقد تحدثتُ عنها بما فيه الكفاية في كتابي <٢٦> (الــشهداء السبعة).

***

مملكة سبأ

اختلف المؤرخون حول أصل السبئيين، فقال بعضهم إنهم جاءوا من شمال الجزيرة العربية إلى اليمن حوالي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد أي بعد قدوم حضرموت ومعين إلى اليمن. وقال آخرون إنهم أصلًا من اليمن.

هذه الاختلافات لم تُحسم بعد، لكننا سوف نسير في هذا الكتاب على رأي من قال إن أصلهم من اليمن وأن هذه المملكة بدأت عام ٨٥٠ قبل الميلاد وانتهت عام ١١٥ قبل الميلاد، وذلك لكيلا يتشعب بنا الحديث.

وتَذكر التواريخ أن السبئيين غزوا وأخضعوا أغلب مناطق جنوب اليمن (حول المحافظتين أبين ولحج) وعلى الرغم من أن أخبار غزوهم هذا جاء في نقوش، إلا أنها أخبار، كما يبدو مبالغ فيها، وهذا يدل على أن المعلومات الواردة في بعض النقوش إما مزيفة أو مبالغ فيها، وكان من العادات السيئة عند اليمنيين القدامى أنهم كانوا إذا تغلبوا على أعدائهم اليمنيين الآخرين حطموا نقوشهم أو زيفوها، وهذا العبث بالآثار كان معمولًا به عند الفراعنة كما كان معمولًا به في العصر الإسلامي الأول أيام العداء المستحكم بين الأمويين والعباسيين.

والسبئيون كانوا أول من بدَّل اسماء ملوكهم من مكاربة (أي ملوك كهنوتيين) إلى ملوك (أي أصحاب سلطة زمنية لا علاقة لهم بالمعابد والطقوس الدينية).

<٢٧>

سد مأرب:

وأهم حدث في تاريخ سبأ هو إنشاء سد مأرب الشهير. وكان من أعظم أعمال هندسة الري في اليمن القديمة، ويقع هذا السد على بُعد ١٩٢ كيلومترًا إلى الشرق من صنعاء وقد بني بين جبلين يقال لأحدهما جبل البلق الأيمن، ويقال للأخر جبل البلق الأيسر، ولم يتفق المؤرخون على من بنى هذا السد وإن كان بعضهم يُرجعون بناءه على ما قبل ٢٧٠٠ عام تقريبًا.

وأهم عمل هندسي في السد هي مصارف الماء الواقعة على يمين السد وشماله. أما السد ذاته (ويسمى العَرِم) فهو حاجز ماء ترابي مطعَّم بالحجارة، ولذلك فهو كثيرًا ما حطمه ضغط ماء السيول فيُعيد السبئيون بناءه، أما المصارف والسواقي

الرئيسية والفرعية فهي باقية منذ أن أنشأها اليمنيون لأول مرة إلى يومنا هذا. وقد زرت منطقة السد عام ١٩٨٠ م بترتيب من حكومة الشمال[٢] التي سهلت لي الرحلة إلى منطقة (مأرب). ولقد بهرني ما شاهدت من آثار أُولئك العمال المهندسين اليمنيين القدامى الذين كانوا يتمتعون بقدرةٍ وكفاءةٍ فائقتين في التعامل مع الأحجار الصلدة الكبيرة فيحيلونها إلى كتلٍ حجريةٍ تكاد تكون مصقولة ثم يرصونها (بدون مؤنة) بعضها على بعض في أشكال هندسية تسر الناظرين. والواقع أن من ينظر إلى تشييد تلك الأحجار المنحوتة (لا يُعْرف إلى الآن الأدوات التي كانوا ينحتون الحجارة بها) لا يشك في أن <٢٨> العمال المهرة فرغوا بالأمس من صنعها وبنائها. إنها من مفاخر اليمن، ومن أعظم الجاذبيات السياحية، وهي في نظري أكثر إبداعًا من بعض أعمال الري المصرية التي شاهدتُها في منطقة الأقصر بمصر.

ويقدر بعض المؤرخين المعاصرين مساحة (الجنَّتين) أي الأرض الشمالية والأرض اليمنية اللتين كانتا مصارف السد تسقيها بحوالي ٣٠ ميل مربع، وبما أن الميل المربع يساوي ٦٤٠ فدانًا، فإن مساحة الجنتين ينبغي أن تكون (١٩٢) ألف فدان، وهذا التقدير تخميني لأن الخراب في أي مرفق، حيثما وُجد، لا يعطي صورة حقيقية لما كان عليه ذلك المرفق أيام ازدهاره.

كان ملوك سبأ يأخذون إتاوة من محاصيل أرض السد تقدر بحوالي ٣٠% هذا إضافة إلى ما تأخذه المعابد والكهنة والدولة والإقطاعيون والمرابون من المحاصيل، وليت شعري ما هو الذي يتبقى للعامل المظلوم من جهده في هذه الأرض، وقد قَدَّرتُ ما يحصل عليه العامل (الفلاح) في اليوم (صاحب الأسرة المكونة من خمسة أفراد) فهو يحصل على ثلاثة أرطال من الدقيق وعلى ثلاث أوقيات من الدَّبس والسمن وعلى أُوقية ونصف من اللحم، هذا بالإضافة إلى ما قد يحصل عليه يوميًّا هو وأسرته من التمر والبقول والثمار الأخرى من الأرض التي يُفلحها، وهذا مجرد احتمال. وقد استنتجت هذه المقادير من نقش كُتِبَ أيام

---

(٢) ألف الكتاب في عهد التشطير، ومعلوم أن المؤلف تُوفي في عام ١٩٨٨ م لذا وجب التنبيه.

أبرهة بن الصباح الحبشي حاكم اليمن، (أيام الغــزو الحبــشي الثــاني للــيمن وسأتحدث عنه في صفحة قادمة) الذي أعاد بنــاء الــسد الترابــي عــام ٥٤٢ ميلادية. والترميم الذي قام به أبرهة لم يُعمَّر طويلًا، لأن السد كان قد تهدَّم قبل البعثة النبوية عام ٦١٠ ميلادية. وبعد ذلك لم يهتم <٢٩> أحد بإعادة بناء السد كما سنذكر الاسباب لذلك في صفحة قادمة.

ويقدر بعضهم طول سد العَرِم في الساحة الواقعة بين جبلي البلق سالفي الذكر، بحوالي ثمانمائة قدم، وارتفاعه حوالي ٢٥٠ قدمًا، وعرضه في قمته حوالي ٦٠ قدمًا، أما عرضه عند القاعدة فلا يُستطاع تصوره الآن. وقــد شــاهدت جُــزءًا بسيطًا من السد ما يزال قائمًا، ولكن هذا الجزء لا يدل على حقيقة ما كان عليه السد عند القاعدة من عرض.

***

مملكة سبأ وريدان وحضرموت ويمنات

هذه المملكة تُسمى أيضًا المملكة الحميرية، وبعضهم يسمونها مملكة التبابعة، وإنما اسم (المملكة الحميرية) غالب عليها، وهي آخر الممالك اليمنية التي حكمت جنوب الجزيرة العربية، وأوضح الممالك اليمنية القديمة تاريخًا، وقد دامت بين عام ١١٥ قبل الميلاد وعام ٥٣٥ بعد الميلاد ويتكوّن ملوك هذه المملكة من طبقتين:

الطبقة الأولى:

وهي التي حكمت اليمن من عام ١١٥ قبل الميلاد إلى عام ٢٧٥ بعد الميلاد، وعدد ملوكها ثمانية عشر ملكًا أولهم علهان نهفان بن يرم أيمن الذي حكم من عام ١١٥ قبل الميلاد إلى عام ٨٠ قبل الميلاد، وآخرهم غمدان يهقبض الذي حكم عدة سنين (غير معروفة بالضبط) إلى عام ٢٧٥ بعد الميلاد على وجه التقريب.

الطبقة الثانية:

هم ملوك التبابعة. إن تسمية (التبابعة) تسمية إسلامية لأن ملوك هذه الطبقة لم يكونوا يُعْرَفُون هكذا في القديم، وفي عهد <٣٠> هؤلاء انحط الحكم في اليمن وتمزقت البلاد إلى مناطق صغيرة تسيطر عليها العشائر الضعيفة وهم الذين يُطلقون عليهم أسماء (الأذواء) و(المشامنة) إلى آخره، وكانوا سببًا في تلاشي القوة اليمنية، وعدد ملوك هذه الطبقة أربعة عشر ملكًا أولهم شمر يهرعش الذي حكم بين ٢٧٥ بعد الميلاد تقريبًا إلى ٣٠٠ بعد الميلاد، وآخرهم ذو يزن الذي حكم بين عام ٥٢٥ بعد الميلاد إلى عام ٥٣٣ بعد الميلاد.

ويزعم بعض المؤرخين أن بلقيس بنت الهدهاد التي حكمت بين عام ٣٣٠ و ٣٤٥ بعد الميلاد كانت ملكة بين ملوك هذه الطبقة الثانية، وأن الأحباش غزوا اليمن للمرة الأولى (سيأتي تفصيل ذلك في صفحة قادمة) في عهدها. ويرى مؤرخون آخرون أن بلقيس هذه كانت ملكة بين ملوك مملكة سبأ الأولى (وقد مر بنا ذكر أخبارها؟!) وأنها هي التي عناها القرآن الكريم في سورة النمل وقص اتصالها مع النبي سُليمان الذي يرجع تاريخه إلى ما بين ٩٦١ - ٩٢٢ قبل

الميلاد. وكما قد مر بنا في هذا الكتاب فإن مملكة سبأ الأولى بدأت عـــام ٨٥٠ قبل الميلاد. وإن هذا الخلط في التواريخ اليمنيين المعاصرين. لذلك فلا باس من أن يطَّلع القارئ على هذه التناقضات التي يحتمل أن توضِّحها وتحققها مُكتشفات آثارية في المستقبل. أما ما كان يُسمى (محرم بلقيس) في مأرب، فـــإن علمـــاء الآثار يذكرون أنه (محرم إلمقَه) ومعناه (معبد القمر) ولـــيس محـــرم بلقـــيس، ويذهب آثاريون آخرون إلى أن (إلمِقَه) بكسر الميم وفتح القاف معناه إله الحرب أو إله الخصب والنماء، وليس معناه (القمر).

وأهم مدن هذه المملكة (ظفار حمير) و(صرواح) و(ذمار) <٣١> و(صنعاء).

وفي سبيل تمجيد ملوك هذه المملكة وخاصة التبابعة منهم تنجيدًا وهميًّا ومزيفًا، ودخلت الكثير من الأساطير والخرافات في التاريخ اليمني القـــديم. ويحتمـــل أن تكشف الآثار المطمورة صورًا حقيقية لما كانت عليه هذه المملكة اليمنية (٣).

الرومان يغزون اليمن

في أواخر عهد الطبقة الأولى من هذه المملكة غزا الرومان اليمن بغية السيطرة على تجارتها، وكان قائد الحملة حاكم مصر اليوناني إليوس جـــاليوس، وهنـــاك اختلاف كبير بين المستشرقين حول المحلات التي نزلت فيها هـــذه الحملـــة أو اتجهت إليها في الجزيرة العربية والذي يترجح عندنا أن الحملة الرومانية أتـــت من راس بَنَاس في جنوب مصر الشرقي على الساحل الغربي للبحـــر الأحمـــر، ونزلت في ميناء ينبع في الحجاز، ثم اتجهت صوب الجنوب إلى نجران ومنهـــا إلى منطقة (براقش) والملاحظ في الكتابات اليونانية والرومانية أنهـــم يكتبـــون اسماء المواقع العربية بصورة غريبة جدًّا من ذلك أنهم على سبيل المثال يكتبون (شبوة) سوبوتا، ويكتبون (راس فرتك) سيارجورس، والاسمان الوحيـــدان فـــي

---

(٣) ملحوظة: يبدو ـ والله أعلم بالصواب، والراسخون في العلم سيؤكدون ذلك أو ينفونه ـ أن مصادر معلومات الأستاذ الشيخ عن تاريخ اليمن القديم هي المرويات الإسلامية وبعض شيء مما كتبه اليونان والرومان. ومن عجب أن يكون حاله كذلك ـ لو صح الحدس ـ ومؤلفات العلماء الأثبات في تاريخ اليمن القديم المستنبط من النقوش المكتشفة مبذولة. وحسبك بالأستاذ الدكتور محمد عبد القادر بافقيه مثلًا. ولكنّ للأمر بُعده، يعلمه من يعلمه، ويجهله من يجهله.

نظرنا، اللذان كتبهما اليونان والرومان كتابة صحيحة هم قرية (بـروم) وثغـر (شرمة). هذا الخلط <٣٢> في كتابة الاسماء جعل المؤرخين العرب في حيـرة من أمرهم، ولسنا ندري هل ما استنتجه العرب من القراءات اليونانية والرومانية كان كله صحيحًا؟ هذا ما نشك فيه..

على كل حال اتجهت الحملة الرومانية سالفة الذكر من براقش إلى مأرب وهنا لم يكن في مقدور الجيش الروماني، الذي كان عدد رجاله حوالي عشرة آلاف، أن يخطو خلف مأرب بالنظر إلى ما كان قد أصاب هذا الجيش من أمراض، وما كان قد تعرض له من قتل على أيدي بعض القبائل اليمنية المقاوِمَة له، فعاد الجـيش الروماني إلى مصر، ولم يتحقق حُلم الإمبراطور الروماني أُغسطس (حكم بـين عام ٣١ قبل الميلاد إلى عام ١٤ قبل الميلاد) الذي أمر بتجريد هذه الحملة إلـى بلاد العرب. ولا تَذكُر السجلات الرومانية الطريق التي سلكها هذا الجـيش فـي عودته إلى مصر، والغريب في الأمر أن كل الموارد الإسلامية لـم تـذكر هـذه الحملة الرومانية، كما أن المكتشفات الآثارية التي عُثر عليها إلى اليوم لم تذكر هذه الحملة الخائبة [٤].

تجارة اليمن القديمة

كانت اليمن منذ عصر مملكة معين إلى القرن الأول بعد الميلاد همـزة وصـل تجارية بين الشرق والغرب. فقد كانت الصادرات اليمنية مثـل اللبـان والمُـرّ وأشجار الطيب، وكذا البضائع التي تستوردها اليمن من الهند وكمبوجيا والملايو وجاوة والصين، تنتقل بوساطة القوافل البريّة اليمنية إلى فلسطين وجنوب لبنان ومنها إلى <٣٣> اليونان وروما. وقد حافظت الدول اليمنيـة القديمـة علـى مركزها التجاري ببقاء البحر الأحمر مغلقًا في وجوه الملاحين الآخرين، وعلـى أن يبقى لها نفوذها المطلق على الموانئ البحرية فيه.

وفي القرن الأول بعد الميلاد اهتدى أحد البحـارة اليونـان واسـمه هيبـالوس (Hipalus) (بين عام ٢٧٥ و٣٠٠ بعد الميلاد) إلى معرفة اتجاهـات الريـاح

---

(٤) لَعَمْري إن صحت الأولى كيف تصح الثانية. هنا جَزْم لا يتفق مع حالات الترجيح التي سبقت في نفس الكتاب. على أن الأمر يحتاج إلى مراجعة المختصين.

الموسمية في المحيط الهندي، واكتشف أن هبوب هذه الرياح نحو الغرب ونحو الشرق لا يكون إلا في فصول معينة من السنة، وكان لهذا الاكتشاف الخطير أثره البالغ في تحويل الطريق البحرية حينما أخذت السفن اليونانية تــشق طريقهــا عنوة في البحر الأحمر ومنه إلى بحر العرب ثم إلى المحيط الهنــدي متجــاوزة الموانئ اليمنية، وفي تلك الأثناء يزعم بعض المؤرخين أن اليونان احتلوا عدن ليجعلوا منها مصدر توزيع (ترانزيت) لتجارة الشرق وخزنها، فتحولت التجــارة الشرقية من الشرق راسا، أو عن طريق عدن، إلــى مــوانئ البحــر الأبــيض المتوسط دون أن تمر على موانئ اليمن، فكان ذلك التحــول التجــاري ضــربة قاضية على اليمنيين وخاصة في عهد من يسمونهم التبابعة الذين كانوا منهمكين في الحروب الداخلية والتطاحن فيما بينهم، فأهملوا التجارة وبسبب ذلك تهدمت سدودهم الزراعية ومن بينها سد مأرب، وفترت حركة القوافل اليمنيــة فــدخل اليمنيون. ولكنّ الرومان كانوا أكثر كفاءة في اساطيلهم التجارية فلــم تــستطع السفن اليمنية مجاراتها في هذا المضمار، زد على ذلك أن نقل البضائع بالقوافل البريّة كان يكلف أكثر من نقلها عن طريق البحر، ولم يحاول اليمنيون تطــوير أنفسهم... <٣٤>

وقبل أن يتهدّم سد مأرب أخذت أحوال اليمن الداخلية تسير من سيئ إلى اسوأ، فضاقت سُبل العيش باليمنيين في بلادهم، فأخذوا يهاجرون إلــى عُمَــان وإلــى سواحل الخليج وسواحل فارس والسواحل الإفريقية، زرافات ووحدانًا، بحثًا عن كسب عيش لهم ولأهاليهم الذين خَلَّفوهم وراءهم في اليمن.

هـجـرة الـيـهـود إلى الـيـمـن

في عام ٧٠ ميلادية وَفَدَ من فلسطين، فرارًا من حكــم الإمبراطــور الرومــاني تيتوس (Titus) كثير من اليهود إلى اليمن ووجدوا قُطرًا آمنًــا يــأوون إليــه، ومكانًا حصينًا يُقيمون فيه، وبعد مضي فترة قصيرة من الــزمن تمكنــوا مــن السيطرة على مرافق اليمن التجارية، وكان اليمنيون في شُغلٍ شاغل بأنفــسهم وبحروبهم الداخلية وتدمير بعضهم بعضًا.

وكان أول من اعتنق اليهودية من ملوك اليمن المتأخرين الملك اسعد الكامل الذي حكم اليمن بين عام ٣٨٥ إلى عام ٤١٥ بعد الميلاد، وتبعه جماعة من أصحابه في اعتناق اليهودية.

ثم اعتنق اليهودية ملك آخر من ملوك التبابعة وهو يوسف ذو نواس الذي حكم اليمن بين عام ٥١٥ وعام ٥٢٤ بعد الميلاد.

وقد أدى تعصب ذي نواس للدين اليهودي إلى إيقاعه بنصارى نجران في حادثة (الأُخدود) المذكورة في القرآن الكريم، سنة ٥٢٣ ميلادية.

وسبب تلك الحادثة أنه ثار نزاع بين يهود ونصارى نجران فهب ذو نواس بجيشه إلى نجران وهناك حفر أُخدودًا ملأه بالنار <٣٥> وخيّر نصارى نجران بين اعتناقهم اليهودية أو إلقائهم في النار، فأبى كثير من نصارى نجران الرجوع عن دينهم فأحرقهم.

ولقد كان هذا الفعل الشنيع مثارًا لاستنكار النصارى في أُوربا والحبشة أصبحت بعده اليمن مسرحًا للنزاع والحروب بين اليهودية وعلى رأسها ذو نواس وبين المسيحية ومن ورائها قيصر الروم ونجاشي الحبشة وبإيعاز من ملك الروم جَرَّد نجاشي الحبشة (وهذا كان الغزو الحبشي الثاني لليمن) حملة عسكرية من جهته مكونة من أربعة آلاف مقاتل للقضاء على (ذي نواس) وأتباعه اليهود، وجرت بين الفريقين معارك دامية كانت الغلبة فيها للأحباش مما اضطر ذا نواس إلى الانتحار، وذلك بأن ألقى نفسه في البحر كما يقال.

وهكذا انتهت دولة الحميريين واستولى الأحباش على اليمن عام ٥٢٥ ميلادية.

وبعد صراع بين القادة الأحباش أنفسهم استطاع أحد قادة الجيش الحبشي واسمه أبرهة بن الصباح الأشرم (وقد تقدم ذكره لدى حديثنا عن ترميم سد مأرب) بتنصيب نفسه ملكًا على اليمن. وقد عمل أبرهة على تنصير المزيد من اليمنيين. ومن أعماله أنه أرغم العرب على الحج إلى كنيسة بناها في صنعاء (تُعرف الآن بغُرقَة القُلّيس) بدلًا عن الحج إلى البيت الحرام في مكة، وهو صاحب قصة (الفيل) المذكورة في القرآن الكريم، وكان عام الفيل سنة ٥٧١ ميلادية. <٣٦>

المسيحية في اليمن

لا يُعرف متى كانت النصرانية قد تفشت بين بعض القبائل العربية حتى وصلت إلى نجران في اليمن، ولكنّ المعروف أن بعض أهالي اليمن اعتنقوا المسيحية عند احتلال الأحباش لليمن في المرة الأولى بين عام ٣٤٠ وعام ٣٧٤ ميلادية.

والحقيقة أن اتصال اليمنيين بالحبشة كان اتصالًا اقتصاديًّا واجتماعيًّا قديمًا جدًّا، ومن المؤرخين من يؤكد أن الخط الأثيوبي المستعمل الآن في أثيوبيا ما هو إلا صورة معدَّلة من الخط المسند اليمني القديم، ويزعمون أيضًا أن كلمة (الحبشة) مأخوذة من اسم قبيلة (حبشية) الحضرمية الأصل ذات المنطقة التي تُعرف باسمها إلى اليوم وهي (جبل حبشية) جنوب منطقة ثمود في محافظة حضرموت.

ويذكر مؤرخون أن اتصال اليمن بالحبشة كان على عهد مملكة أوسان وقد كونوا لهم في الحبشة مستعمرة تعرف باسم (أكسوم) كما ذكرنا ذلك..

وبحكم الاقتراب بين الشاطئين اليمني والحبشي في أسفل البحر الأحمر كان الأحباش واليمنيون يتبادلون الاتصالات التجارية.

كان الغزو الحبشي الأول لليمن الذي أشرنا إليه غزوًا اقتصاديًّا لكنه لم يدم طويلًا.

أما الغزو الحبشي الثاني فقد كان غزوًا تأديبيًّا جزاء ما قام به ذو نواس ضد نصارى نجران، وفي سنة ٥٩٩ ميلادية قام سيف بن ذي يزن بثورته ضد الغزو الحبشي الثاني، وبذلك انتهى هذا الاحتلال الذي دام ٧٤ عامًا، بمساعدة الفرس الذين استقدمهم سيف بن ذي يزن إلى اليمن بمساعدة أحد أكاسرة الفرس.

<٣٧>

وقد تولى سيف بن ذي يزن بعد طرده الأحباش من اليمن، أمر اليمن من قِبَل كسرى فارس ووفدت إليه الوفود العربية وكان من بينهم عبد المطلب بن هاشم جَد النبي ^ [وكان ذلك قبل البعثة النبوية بما يقرب من عشرين عامًا، إذ كانت أول سنة للهجرة في ١٦ يوليو عام ٦٢٢ ميلادية].

وبعد موت سيف بن ذي يزن، تولى المرزبان بن وهرز الفارسي حُكم اليمن، عاملًا من قِبَل كسرى، ثم تولى بعده التيجان بن المرزبان، ثم خسرو بن التيجان،

ثم باذان، وقد بقي باذان واليًا على اليمن حتى الهجرة النبوية عام ٦٢٢ ميلادية ودخل في الإسلام مع أهل اليمن، ومع باذان هذا جرت حكايات الأسود العنسي. <٣٩>

***

الفصل الثاني
لمحة من تاريخ حضرموت العام
(ومن السنة الأولى للهجرة إلى السنة الحادية عشر)
٦٢٢ - ٦٣٢ م

عندما بعث الله محمدًا ^ (٦١٠م)، كانت أقاليم اليمن مشتتة وغير خاضعة لحكم مركزي واحد، وكان أهل كل ناحية قد ملَّكوا عليهم رجلًا منهم. وكذلك كان الحال في مختلف المناطق الحضرمية. وكانت هجرته إلى المدينة المنورة سنة ٦٢٢ ميلادية.

وكان الفُرس يحكمون اليمن الأعلى، وكان عاملهم على صنعاء ونواحيها (باذان) الفارسي، فدعاه الرسول الكريم إلى الإسلام فامتثل بدون تردد واسلم معه من كان بصنعاء من الفرس، وكان ذلك سنة عشر للهجرة. وأبقى النبي ^ (باذان) أميرًا عنه على جميع اليمن ومخاليفه وهي كثيرة. وكانت أشهر مخاليف اليمن (أي أقسامها الإدارية) مخلاف عسير ومخلاف صنعاء ومخلاف الجَنَد (اليمن الأسفل) ومخلاف تهامة ومخلاف حضرموت.

ومات باذان في هذه السنة، فقسَّم النبي مخاليف اليمن على <٤٠> عُمّال من قِبَله. وجعل صنعاء لشهر بن باذان. وبعث النبي ^ خالد بن الوليد إلى قبائل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فبقيَ بها ستة أشهر ولم ينجح في مهمته. فبعث النبي علي بن أبي طالب وأمره أن يرد خالدًا ومن معه إلا من رغب في البقاء معه. فلما انتهى إلى أوائل اليمن قَرَأ علي بن أبي طالب عليهم كتاب الرسول فأسلمت همدان ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام وكان ذلك سنة عشر للهجرة.

ولما بلغ النبي ^ إسلامهم سجد لله شكرًا على ذلك.

وفي تلك السنة بعث النبي ^ مُعاذ بن جبل، وكان من شباب الأنصار، قاضيًا أو واليًا على اليمن ومعلمًا، بقي مُعاذ بن جبل باليمن إلى أن تُوفي رسول الله ^، وكانت وفاته عام ١١ هجرية = ٦٣٢ ميلادية.

وقد حاول باذان، بعد إسلامه، الاتصال بالرسول ولكن الأسود العَنْسي تعقبه وقتله. ثم استفحل شأن الأسود وكثر جمعه حتى أخرج عُمَّال النبي ^ من التهائم. ثم زحف على صنعاء فاستولى عليها وقتل شهر بن باذان وتزوج

امرأته. فأمر النبي ^ إلى من بقيَ من عماله أن يتلافوا الأمر بالقضاء على الأسود العنسي، فانتُدب لذلك (فيروز الديلمي) ابن عم امرأة شهر بن باذان التي غدت زوجة للأسود العنسي، ووُضعت خطة لقتله بمساعدة هذه الزوجة، فقتلوه. وعاد عُمال النبي ^ إلى أعمالهم، وكان ذلك قبل وفاته ^. وورد الخبر بمقتل الأسود إلى المدينة قبل وفاة الرسول ^ بليلة أو ليلتين، وكانت وفاته عام ١١ <٤١> هجرية = ٦٣٢ ميلادية.

وحدث أن قام بصنعاء متمرد آخر اسمه قيس بن مكشوح وجمع فلول جُند الأسود العنسي إليه وذلك بعد أن وُلّيَ الخليفة أبو بكر أمر المسلمين. فولّى أبو بكر (فيروز الديلمي) وأمر الناس بطاعته. فاجتمع لديه من المسلمين عدد غير قليل قاتل بهم قيس بن مكشوح حتى هزمه. واستقر اليمن تحت ظل الخلافة الإسلامية.

كُتُب النبي ^ إلى أهل اليمن وحضرموت:

وكان النبي ^ قد كتب إلى ملوك اليمن - وكانوا في واقع الأمر رؤساء قبائل وأصحاب مخاليف - كتابًا عامًّا في الوقت الذي كتب النبي ^ كتبه إلى عموم ملوك العرب ومن جاورهم من ملوك العجم.

وكان كتاب النبي ^ إلى اليمن موجهًا إلى الحارث بن عبد كلال، ونعيم بن عبد كلال والنعمان قَيل ذي رعين، وهمدان والمعاقر[٥]، أنبأهم فيه أنه حمد الله على دخولهم الإسلام، وحثهم على طاعة الله ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأمرهم بجمع ما عندهم من الصدقة والجزية وتبليغها إليه. وكان دُعاة الرسول ^ قد أوضحوا لليمنيين وغيرهم ما يلزمهم من زكاة وغيرها من الواجبات الأخرى، وكان كتاب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إليهم قد اشتمل عليها. وذكر لهم في كتابه أن رسله إليهم هم معاذ بن جبل، وعبد الله بن زيد، ومالك بن عبادة، وعتبة بن نمر، ومالك بن مرة وأصحابهم. <٤٢>

(٥) إقليم المعافر هو ما يعرف اليوم بالحُجرية في اليمن الأسفل، وقديمًا كانت عاصمته (جبا) ثم (الدّملوة).

أما كتاب الرسول ^ [إلى قبيلة حضرموت فقد وجهه لوائل بن حُجر وسائر أقيال حضرموت، وذكر فيه ما عليهم دفعه من الزكاة. وبعث بكتاب مماثل إلى أبناء معشر وأبناء ضمعَج أهل شبوة، وبكتاب إلى الجُعَفيين أهل وادي جردان، ولم يُثبت المراجع التاريخية كتاب النبيِّ ^ الأول لجميع سكان حضرموت، وكان قد أرسله إليهم بيد يسلم بن عمرو الأنصاري، بيد أن اليعقوبي[٦] ذكر أن النبي ^ كتب لهم بمثل ما كتب إلى كسرى]، وفيما يلي نص الكتاب الموجّه إلى كسرى:

«من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلام الله على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله إلى الناس كافة ليُنذر من كان حيًّا ويَحِق القول على الكافرين، فاسلم تَسْلَمُ، فإن أبيت فإن عليك إثم المجوس».

وفادة أهل حضرموت على النبي ^:

تُسمَّى سنة عشر من الهجرة سنة الوفود، إذ وفد على النبي ^ فيها وفود مَنْ بقي من العرب ممن لم يُسلم بعد.

ولم تكن وفادة العرب على الرسول ^ كلها رغبة في اعتناق الإسلام وانقيادًا لدعوته - وإن كان أغلبها كذلك - بل كانت بعض الوفادات لنيل الرَّفد والإحسان، وبعضها لترشيح أنفسهم للرئاسة على أقوامهم. ومن ذلك أن بني تميم وفدوا على رسول الله ^ فقال لهم: «اقبلوا البشرى يا بني تميم» ففسَّر بنو تميم كلمات الرسول ^ تفسيرًا ماديًّا بحتًا وقالوا له <٤٣> بشرتنا فأعطنا، فكررها لهم، وهم يقولون: بشرتنا فأعطنا، ولم يكتفوا بذلك، بل صاروا يُلحون عليه لذلك وينادونه من وراء حجرات أزواجه حتى شق عليه ذلك، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعلمون﴾ وقوله تعالى: ﴿الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا﴾.

وقد جاء إلى النبي ^ وفد بني عامر وعليهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس، وما كان في نيتهم الإسلام، بل ازدادوا بعد وفادتهم إصرارًا على كفرهم، حتى

---

(٦) هو المؤرخ أحمد بن أبي المعروف بابن واضح الأخباري والمشهور بلقب اليعقوبي له تاريخ اسلامي في ثلاثة مجلدات.

إنهم تآمروا على قتل النبي فلم يقدروا. وقال عامر بن طفيل مخاطبًا النبـــي ^: «لأملأنها عليك خيلًا ورجلًا» وذلك أن النبي ^ لم يطاوعه على إعطائـــه طلبـــه الرفد والميرة من تمر المدينة.

ويروي التاريخ حكايات كثيرة عن حرص بعض الوافدين من أجلاف العرب على الرئاسة والمال والطعام، ولم يكن غرضهم الدخول في الإسلام.

وربما اعتنقت قبيلة الإسلام عنادًا وإغاضة لقبيلة أخرى لم تعتنقه كما كان الحال بين كندة ومراد، وذلك لِما كان بين هاتين القبيلتين من خصومة جاهلية، على أن كندة دخلت الإسلام في تاريخ متأخر.

وفد قبيلة حضرموت:

يذكر التاريخ أن وائل بن حُجر بن ربيعة وكان أبوه من أقيال اليمن، وفد علـــى النبي ^ فدخل المسجد فأدناه النبي إليه وبسط له رداءه وأجلسه معه. ثم صـــعد النبي ^ المنبر وقال: «أيها الناس، <٤٤> هذا وائل بن حجر سيد الأقيال، أتاكم من أرض بعيدة - يعني حضرموت - راغبًا في الإسلام». فقام وائل وقال: يـــا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم، فتركته واخترت ديـــن الله. فقـــال النبي: «صدقت، اللهم بارك في وائل وولده».

وفد كـنـدة:

وقدم على النبي الأشعث بن قيس في عدد من أصحابه.

وفد تُجيب:

وقدم على النبي وفد تجيب (وهم من قبيلة السُّكون) وقد ساقوا معهـــم صـــدقات أموالهم التي فرضها الله عليهم. فسُرَّ رسول الله ^ بهم وأكرم نزلهم. وقالوا: يا رسول الله سقنا إليك حق الله عز وجل في أموالنا، فقال رســـول الله: «ردوهـــا فاقسموها على فقرائكم»، فقالوا: ما قَدِمنا إلا بما فَضَل من فقرائنا. فقال أبو بكر رضي الله عنه: ما وفد علينا وفد من العرب بمثل ما وفد هؤلاء الحي من تجيب فقال رسول الله ^: «إن الهدى بيد الله عز وجل، فمن أراد به خيرًا شرح صدره للإسلام».

وفد الصَّدِف والجُعَفيين:

وقدمت على النبي قبيلة الصدف، كما قدم عليه وفد الجعفيين وهم سكان وادي جردان من حضرموت.

ويدل تعدد الوفود اليمنية على الرسول الكريم ^ أن اليمن كانت ممزقة تحت العديد من الرئاسات العشائرية ولم تكن تحكمها حكومات مركزية موحدة. <٤٥>

***

عمال النبي ^ على حضرموت

كان النبي يبعث بأُمرائه وعماله على الصدقات إلى كل بلد دخل أهله في الإسلام، ومن أولئك العمال الذين عُينوا بحضرموت:ــ

المهاجر بن أبي أمية المخزومي:

وهو شقيق أُم سلمه زوجة الرسول ^. وكان اسمه (الوليد) فسماه النبي (المهاجر).

زياد بن لبيد الأنصاري:

وهو أشهر رجل وُلّي بلاد حضرموت من الصحابة. كان عاملًا للنبي على حضرموت ومنها بلاد كندة والسكون والصدف. ولما وُلِى أبو بكر رضي الله عنه، ولاّه قتال أهل الردة من كندة حتى ظفر بالأشعث بن قيس، فبعث به أسيرًا إلى أبي بكر كما سيأتي تفصيل ذلك.

عكاشة بن ثور:

كان واليًا على السكاسك والسكون ومعاوية من كندة. فلما مات رسول الله ^ كان عماله على بلاد حضرموت (١) المهاجر على كندة و(٢) زياد على قبيلة حضرموت و(٣) عكاشة على السكاسك والسكون.

حضرموت في آخر حياة النبي ^

بعد أن استقر الإسلام بحضرموت في السنة العاشرة من الهجرة (٦٣١م) رضخت له القبائل القاطنة بحضرموت من كندة <٤٦> والسكاسك والسكون والصدف وتجيب وحضرموت والجعفيين وغيرها من سكان تلك الناحية اليمنية تحت رئاسة من راسهم النبي ^ عليهم ومنهم الأشعث بن قيس على كندة، ووائل بن حجر على حضرموت، وقيس بن سلمة بن شراحيل على الجعفيين. وكان لهذه القبائل ملوك ورؤساء عديدون أصبحوا بالإسلام في عِداد سائر الناس مرؤوسين لأولئك النفر الذين عينهم النبي ^ عليهم.

والظاهر أن بعضًا من أولئك الملوك والرؤساء إنما سكت على مضض واستكان على ضغينة لِما سُلِبه من الرئاسة الجاهلية كما دلت على ذلك الحوادث.

ذلك لما قام الأسود العنسي باليمن وأعلن الرِّدّة واستولى على صنعاء في حياة النبي، لم يتوان بعض رؤساء سكان حضرموت، ولا سيما كندة - ومنهم بني وُلَيْعَةَ من بني عمرو بن معاوية - عن اغتنام الفرصة بتلبية دعوة الأسود العنسي، بل سرعان ما أعلنوا الرِّدَّة وناصبوا عمال النبي العداوة، وذلك في أُخريات أيام حياته (ولما بلغ الخبر إلى المدينة بردّة بني وليعة وملوكهم لعنهم النبي).

ولم تدم فتنة العنسي طويلًا إذ قتله المسلمون الذين باليمن، وقد وردت البشرى بمقتله إلى النبي وقد اشتد به المرض فلم يبق بعدها سوى ليلة واحدة حتى لحِقَ بالرفيق الأعلى، وكان ذلك في ربيع الأول من السنة الحادية عشرة للهجرة.

صدى وفاة النبي بحضرموت:

وعندما بلغ خبر وفاة النبي ^ إلى حضرموت إلى عامله عليها زياد بن لبيب الأنصاري، وكان حينها في مدينة تريم، مع إقرار <٤٧> أبي بكر رضي الله عنه له على عمله، لم يلبث حتى خطب الناس معلنًا لهم وفاة النبي وداعيًا للبيعة لأبي بكر، فلبى نداءه بعض الحضارم، وامتنع عن البيعة مَنْ في قلبه مرض ومَنْ لم يطمئن قلبه بالإيمان كالأشعث بن قيس الكندي ومَن انحاز إلى جانبه من كندة ومنهم - كما ذكرنا - بنو وليعة من بني عمرو بن معاوية، كما امتنع الذين تبعوا دعوة العنسي من بني عمرو بن معاوية ومن مال إليهم.

وبما أن الأشعث بن قيس كان أحد ملوك كندة، وكان صاحب (مرباع)(٧) حضرموت فقد كتب زياد إلى أبي بكر رضي الله عنه بالموقف في حضرموت

---

(٧) المراد بصاحب مرباع حضرموت الرئاسة العامة على قبيلة حضرموت وغيرها من القبائل وهو ما يعرف اليوم (بالأب الطائلة) وكان من حقه الحصول على ربع الفيء والغنيمة.

قال الشاعر:

لك المرباع (أ) منها والصفايا (ب)

وحكمك والنشيطة (ج) والفضول(د)

ربع الغنيمة.

ما يصطفيه الرئيس لنفسه قبل القسيمة.

ما أصاب الرئيس في الطريق قبل أن يصل إلى مقر القوم.

وطلب منه المدد، فبادر أبو بكر لإجابته وقال له في رسالته إليه تلــك الجملــة المشهورة عن الصديق: استعن بمن أقبل على من أدبر.

ردة أهل حضـرموت

<u>كان المرتدون الحضارمة أربعة أصناف:</u>

(١) صنف عادوا إلى عبادة الأوثان.

(٢) وصنف تبعوا مسيلمة والأسود العنسي، وكان كل منهم قد ادعى النبوة قبل موت النبي، فصدَّق مسيلمة أهل اليمامة وجماعة غيرهم. وصدَّق الأسود أهــل صنعاء وجماعة غيرهم ومنهم ملوك بني وليعة الذين سوف يأتي ذكرهم.. فقُتل الأسود قبيل موت النبي، وبقي بعض من آمن به فقتلهم عمال النبي ^ في خلافة أبي بكر، وأما مسيلمة فجهَّز إليه أبو بكر جيشًا بقيادة خالد بن الوليد فقتلــوه. <٤٨>

(٣) وصنف ثالث استمروا على الإسلام، لكنهم جحدوا الزكـــاة وتـــأولوا بأنهــا خاصة بزمن النبي، وهم الذين ناظر عمر بن الخطاب أبا بكر في قتالهم. وإلـــى هذه الفئة يُنسب البيتان المشهوران:

أطعنـــا رســـول الله مـــا دام بيننـــا　　فيا قوم مـا شـأني وشـأن أبي بكر

أيورثهـــا بَكـــرًا إذا كـــان بعـــده　　فتلـك لعمــر الله قاصـمة الظهــر

(٤) وصنف توقف فلم يطع أحدًا من الطوائف الثلاث وتربَّص لمن تكون الغلبة.

ويُستطاع القول إن هذه الأصناف الأربعة تمثل كافة المرتدين العرب لا الحضارم وحدهم.

وكان المرتدون الحضارمة متمثلين أصلًا في كندة، وكانت رئاسة كندة في بنـــي وليعة بالذات وهؤلاء فرعان:

<u>الفرع الأول:</u>

بنو عمرو بن معاوية، ولهم ملوك أربعة هم:

جَمَد، ومُخوس، ومَشْرَح، وأبضعة تُشاركهم في الذّكر والرئاسة أُختهم العمرَّدة.

<u>الفرع الثاني:</u>

ما فضل من القسمة مما لا يصح قسمته على عدد الغزاة كالبعير والفرس.

بنو الحارث بن معاوية، ولهم ملكان هما:

السَّمط بن الأسود، والأشعث بن قيس وهو آخر ملوكهم.

ولقد كانت ردة كندة حركة رجعية دفعت إليها عدة عوامل أظهرها: <٤٩>

١ــ الحنين إلى ظلم الجاهلية وبطشها وجبروتها وأنانيتها.

٢ــ عجز رؤساء المرتدين عن مزاحمة المتنورين بتعاليم الإسلام.

٣ــ قُعود جهلهم بهم عن التأهل لاحتلال المراكز المهمة والوظائف الإسلامية العالية، بعد أن سُلبوا الرئاسة الوراثية التقليدية، وغدا الإسلام يأبى أن يتبوأها إلا من كان كفوًا لها بعلمه وقوة إيمانه وسابقته من الإسلام.

وبالنظر إلى العداء القديم المستحكم بين قبيلتي حضرموت وكندة فقد انحازت حضرموت إلى جانب زياد وناصروه على كندة وبقية المرتدين، على أنه انحاز إلى المرتدين أفراد أشقياء من قبيلة حضرموت ومن السَّبِيع الهمدانية وقبيلتي السكون والسكاسك.

ودارت رحى الحرب بين المسلمين والمرتدين في موضع، لا يُعرف مكانه اليوم، يقال له (محشر الزَّرقان) فهُزمت كندة وانسحبت إلى موطن أعوانها من قبيلة حضرموت ولاذت بحصن (النَّجَيْر) الواقع شرقي مدينة تريم[8] وهو حصن لقبيلة حضرموت استولى عليه أُولئك الأفراد من قبيلة حضرموت الذين انحازوا إلى المرتدين.

وداهم المسلمون حصن النجير وحدثت به معركة تاريخية مشهورة كانت نتيجتها أن انهزم المرتدون هزيمة منكرة وكانت نصرًا عظيمًا للمسلمين. وكان بين قتلى المرتدين ملوك بني عمرو بن معاوية الأربعة وأختهم العَمَُردة، والسمط بن الأسود أحد ملكي بني الحارث بن معاوية، أما الملك الآخر وهو الأشعث بن قيس رأس الفتنة فكان بين الأسرى.

---

(٨) موقع الحصن بين قرية خباية ومسيال عِدِم شرقي تريم، ومن المسلمين المشهورين الذين قتلهم المرتدون

عباد بن بشر الأوسي جد المشائخ آل الخطيب هكذا لتوارثهم الخطابة في جامع تريم منذ عهد الدولة القحطانية إلى <١٢٠> اليوم.

ويُذكر أن زيادًا بعث بالاسرى ومنهم الأشعث إلى أبي بكر <٥٠> فمــنَّ علــيهم بالحياة بعد تجديد اسلامهم.

المرتدون من المهرة:

أما المرتدون من منطقة المهرة الحضرمية، فقد سار إليهم عكرمة بن أبي جهل في جيش من المسلمين الذين كانوا يُقاتلون المرتدين في عُمَّــان، ودارت بــين المهرة وبين المسلمين معركة فاصلة في مكان سماه المؤرخون (جيروت) ولعله (حَبْرُوت) كُسر فيه المهرة المرتدون واسر قائدهم شخريت، وبعث به عكرمة إلى أبي بكر مع جمع من الاسرى المهرة.

وانتهت فتنة الردّة الحضرمية / المهرية. واستقرت حضرموت تحت ظل الخلافة الإسلامية.

العمال على حضرموت في عهد الراشدين

تُوفي الخليفة أبو بكر لثمانٍ بقين من جُمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجــرة، فكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال. وولي بعده عمر بــن الخطــاب، وبقيت حضرموت جُزءًا لا ينفصل عن اليمن، وقطعة من الدولة الإسلامية الفتية. كانت حضرموت على عهد الخلفاء الثلاثة في أغلب الأحوال تحت حُكم من يتولى على اليمن، بيد أن ولاة اليمن ربما جعلوا عليها نُوابًا. ويُذكر أن أحد الخلفــاء استعمل في حضرموت عاملًا من قِبَله.

<u>يعلي بن مُنْية:</u>

ولما تُوفيَّ أبو بكر ووُلى عمر استعمل على اليمن يعلي بن منية <٥١> (نــسبة إلى أمه) أما أبوه فهو أُمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي حليف قريش. وأُتهم يعلي باستغلال مركزه فعَزله الخليفة عمر[٩]. ولما بُويع عثمان[١٠] اســتعمل يعلي على اليمن. ويقال إنه عاد إلى استغلال مركزه من جديد. ويقال أيضًا إنــه مات ولديه ثروة قُدِّرت بستمائة ألف دينار.

<u>عديّ بن نوفل:</u>

---

(٩) قُتل عمر بن الخطاب ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م).

(١٠) قُتل عثمان سنة ٣٥ هـ (٦٥٥ م).

وعلى الرغم من أن يعلي كان مستقلًّا بالإمارة على اليمن، فإن أمر حضرموت لم يكن إليه، بل إن الخليفة بالمدينة استعمل عليها عاملًا خاصًّا من قِبَله وهو عدي بن نوفل، إذ استعمله عمر بن الخطاب على حضرموت، ثم عمل لعثمان بعده أيضًا، وعديّ هذا هو أخو ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة رضي الله عنها. أما في عهد الخليفة علي فقد كان عامله على اليمن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وقد بقي في منصبه حتى وفاة الإمام علي كرم الله وجهه[١١]. وكانت حضرموت إبّان عمالته تابعة لليمن الأعلى من الناحية الإدارية.

وينبغي أن يلاحَظ أن الحضارم كانوا، في كل مناطق حضرموت، مستقلين بشؤونهم الداخلية يديرونها بوساطة رؤساء عنهم وفق عاداتهم وتقاليدهم وعقيدتهم الجديدة، وكانت واجبات عمال النبي ^ وعمال الخلفاء الراشدين من بعده منحصرة في الإشراف على أداء الزكاة وإقامة الفرائض الدينية الأخرى.

<٥٢>

الهجرة الحضرمية في عهد الفتوح الإسلامية

كانت حرب الردّة في عهد أبي بكر، والفتوح في عهد عمر ومن بعده، من بواعث هجرة القبائل الساكنة بحضرموت، شأنهم في ذلك شأن بقية القبائل الذين هاجروا من جهات أُخرى من جزيرة العرب، صوب الحجاز، أولًا، حيث تُعَبأ الجيوش وتُجَهز البعوث إلى شتى نواحي الأرض، ثم ذهابهم، ثانيًا إلى الثغور، في سبيل نشر الدين الإسلامي والقضاء على مناوئيه.

فهب رجال بلاد حضرموت وعليهم أقيالهم وملوكهم ورؤساؤهم أمثال وائل بن حجر، والأشعث بن قيس وغيرهم من زعماء قبائل حضرموت وكندة والصدف والسكون والجعفيين.

وكان عمر بن الخطاب قد استنفر من أهل اليمن رجالهم وذوي الشأن والنجدة لتلبية صوت الجهاد ونفير الإسلام. فرَجَلَ جمع غفير من أهل جهة حضرموت بأسرهم وذراريهم - كسائر العرب - لأداء واجبهم نحو دينهم وعروبتهم، ثم

---

(١١) قُتل علي بن أبي طالب ليلة ١٧ رمضان ٤٠ هـ (٦٦٠ م).

توطنوا فيما بعد ثغور الإسلام. فنزحت قبائل من حضرموت عن وطنها الأصلي إلى غير رجعة. فاستبدلوا لهم في البلدان الخصبة أهلًا بأهل وجيرانًا بجيران. فأثرت هذه الهجرة على بلاد حضرموت، إذ نقص عدد سكانها نقصًا كبيرًا.

ونزح الحضارم إلى الحجاز وإلى الكوفة (العراق) وإلى الشام وإلى مصر في أعداد كبيرة، واشتركوا في جيوش الفتح الإسلامي قادة وجنودًا ومنهم من تولى بتلك الأقاليم الإسلامية وغيرها - مُلك شمال إفريقيا والأندلس - الرئاسة والحكم والقضاء والإفتاء وشاركوا - كما شارك أبناؤهم وأحفادهم من بعدهم - في مختلف <٥٣> نواحي النشاط العسكري والإداري والفكري. وبرز منهم رجال تحدث عنهم التاريخ حديث إجلال وإكبار (راجع كتاب الجامع للمؤلف).

فبالإضافة إلى إبادة حروب الردة. كانت الهجرة ضربة على حضرموت أفقدتها أكثر سكانها. وقد أُصيبت حضرموت بضربات عنيفة وقاسية في العهدين الأموي والعباسي كما سيأتي ذكره. ونتج عن ذلك خواء بعض النواحي الحضرمية من أهلها، وخراب بعض بلدانها وقراها، وتدهور الحالة الاجتماعية والاقتصادية بها[١٢].

لذلك لم يعد لبلاد حضرموت من الشأن ما يجعل الولاية عليها أمرًا يستحق الذكر. فلم يحفظ التاريخ اسم أحد من المتولين عليها إلا نادرًا، واكتفى المؤرخون بما عرف من أنها قطعة من اليمن مضافة إلى عمالة من يتولى صنعاء من قبل الدولة.

حضرموت في العهد الأموي

لما وُلى معاوية بن أبي سفيان استعمل على صنعاء - قاعدة اليمن - فيروز الديلمي. أحد الفرس الذين كانوا باليمن، وقد سبق ذكر فيروز هذا بمناسبة مشاركته في قتل الأسود العنسي الكذاب، وبقى باليمن حتى تُوفي سنة ٥٣ هـ (٦٧٢م) في عهد معاوية.

---

(١٢) للمزيد من المعرفة عن الهجرة انظر كتابنا (الهجرة اليمنية).

وفي عهد عبد الله بن الزبير، تُولى على حضرموت من قِبَله عمارة بن عمرو بن حزم، ويحتمل أنه كان نائبًا لعامل صنعاء عبد الله بن عبد الرحمن بن مخـــزوم وكان عاملًا لعبد الله بن الزبير على اليمن.

ولما أُضيفت اليمن إلى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي سنة ٧٢ هـــــ (٦٩١م) ولّى الحجاج على حضرموت الحكم بن مولى <٥٤> الثقفي.

وتَذكر روايات تاريخية أن الولاة الأمويين ألحقوا بأهل اليمن وحـــضرموت مـــن الجور والعسف ما أثار الحفائظ وأضرم الصدور غيظًا عليهم، الأمر الـــذي أدى إلى ثورة عبد الله بن يحيى الكندي، والملقب بـــ «طالب الحق»، وانضمام جانب كبير من الحضارم تحت رايته مما سيأتي ذكره. وكان على حضرموت حينئذ من قِبَل الأمويين إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي.

ثورة عبد اللّه بن يحيى الكندي بحضرموت

شاخت الدولة الأموية، وبدأ التصدع في جوانبها من عهد الوليد بن يزيد، ولـــم يكن اليمنانية - وهم أعظم جُند أهل الشام - راضين عنه.

ومن المعروف أن جُند الشام هم الذين ارتكزت على أسنتهم وحـــرابهم الدولـــة الأموية.

فجرؤت النفوس على الخروج على الملك الأموي، ونجمت قرون الفتن والأحزاب والمؤمرات السرية ضد الدولة. وانتشرت المناوشات الدامية في شـــتى أنحـــاء المملكة الأموية، وغدت بها أوصال الدولة أشـــلاءً مقطعـــة بأيـــدي الطـــامعين والثائرين والحاقدين مما أوقع في النفوس يقينًا بانهيارها وقُرب اضمحلالها.

هذه الحالة التي كانت عليها الدولة الأموية جرَّأت أبا حمزة الحَرُوري الإباضـــي على التآمر مع عبد الله بن يحيى الكندي للقيام بثورة في حـــضرموت وعمـــوم اليمن ضد الحكم الأموي، لا سيما أن <٥٥> عبد الله بن يحيى كان في طليعـــة المتذمرين من الحالة السيئة التي عمت اليمن وحضرموت على أيدي الأمويين.

كان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي السلمي (وأحيانًـــا يـــسمى الحـــروري الإباضي) أحد أهل البصرة ممن لبى دعوة عبد الله بن إباض التميمي الخارجي. وتتلخص دعوة عبد الله بن إباض في: (أن أهل القبلة)، أي المسلمين، غيـــرهم

كفار، ولكنهم غير مشركين، فمناكحتهم وموارثتهم جائزة إلا أن أموالهم من السلاح والعتاد عند الحرب حلالان، وأن مرتكبي الكبائر ليسوا بمؤمنين، ولكنهم موحدون، وأن مرتكب الكبيرة كافر كفر النعمة لا كفر الملّة، وأنهم لا يتولون من الخلفاء الأربعة غير الخليفتين أبي بكر وعمر، وأن الخليفتين عليًّا وعثمان قد خالفا - حسب زعمهم - سنة النبي محمد ^ (إلى غير ذلك)[١٣]. وقد سميت هذه الفرقة بالإباضية نسبة إلى عبد الله بن إباض المذكور. وهي إحدى فرق الخوارج.

والحقيقة أن وجود الخوارج بحضرموت كان قديمًا. وأول اتصالهم بحضرموت كان في بداية النصف الثاني من القرن الأول من الهجرة (٦٨٥م) فقد بعث أتباع نجدة بن عامر الحنفي الخارجي، المتغلب على اليمامة والبحرين بأنصارهم إلى حضر موت سنة ٦٦ هـ (٦٨٥م) وولّوا أبا فديك لقبض الصدقة باسم الفرقة النجدية (نسبة إلى نجدة بن عامر المذكور)، وكان هذا أول اتصال الخوارج بحضرموت، وقد أحدث ذلك جوًّا صالحًا لتلقي نِحلة الإباضية بالقبول والإذعان.

وكان أبو حمزة المختار يتردد على مكة كل عام ويدعو إلى الثورة ضد مروان بن محمد الأموي، وإلى اعتناق المذهب الإباضي. <٥٦>

وفي سنة ١٢٨ هـ (٧٤٥م) إتصل أبو حمزة في مكة بعبد الله بن يحيى الكندي من أهل حضرموت وشرح له فكرته الثورية ومذهبه الإباضي. فاستحسن عبد الله بن يحيى ما قاله أبو حمزة وخرج أبو حمزة وعبدالله بن يحيى وجماعة من أنصار أبي حمزة إلى حضرموت وهنا أعلنوا الثورة على مروان بن محمد ودعوا للبيعة لعبدالله بن يحيى ولقبوه (طالب الحق).

كان ذلك أول سنة ١٢٩ هـ (٧٤٦م) وكان هذا أول وجود المذهب الإباضي بحضرموت.

فكثر أنصار «طالب الحق»، لاسيما أن الناس قد برموا بالحالة في حضرموت من عمال بني أُمية وظلمهم وعسفهم كما تذكر الروايات التاريخية.

---

(١٣) ص ١٦١ ج (١) (تاريخ حضرموت للحامد)، وللشهرستاني كلام مماثل ومطوَّل عن الإباضية بصفحتي ١٤١ ـ١٤٢ من الجزء الأول من كتابه (المللُ النِّحل).

وكان على حضرموت من قِبَل الأمويين إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي[١٤] فاعتقله أنصار «طالب الحق» ردحًا من الزمن ثم أخلوا سبيله.

وكتب عبد الله بن يحيى إلى من كان على مذهبه بصنعاء أنه قادم عليهم، واستخلف بحضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي.

وتوجه طالب الحق سنة ١٢٦ هـ (٧٤٦م) إلى صنعاء في ألفين من رجاله الحضارم واستولى عليها ثم بسط سلطانه على اليمن، وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء شهرًا كان الخوارج (الشراة) يأتون خلاله إليه من كل مكان حتى كثر جمعه، الأمر الذي شجعه على الاستيلاء على مكة والمدينة، وكان ذلك سنة ١٣٠هـ (٧٤٧م) إذ أنه، فعلًا، وجه إلى تلك المدينتين المشرَّفتين أبا حمزة المختار وآخرين من أنصاره على رأس جيش كثيف واستولى أبو <٥٧> حمزة على مكة ثم على المدينة.

ولما بلغ مروان بن محمد الأموي[١٥] خبر استيلاء أبي حمزة على مكة والمدينة جرَّد له من الشام حملة عسكرية قوية بقيادة عبد الملك بن عطية السعدي. فكانت معركة بين الأمويين والإباضيين في مكة قُتل فيها أبو حمزة وأكثر أنصاره. أما الباقون من أنصار أبي حمزة فقد لاذوا بالفرار إلى صنعاء.

وتحرك عندئذ عبدالله بن يحيى «طالب الحق» بجيش من صنعاء ضم فلول جيش أبي حمزة. والتقى بجيش ابن عطية السعدي في الطائف فدارت بين الفريقين معركة في الطائف قُتل فيها «طالب الحق» وجمع كبير من أنصاره، وتوجه ابن عطية إلى صنعاء لمقاتلة من بقى بها من الخوارج وتمكن من قمع ثورتهم وكسر شوكتهم.

عند ذلك فر من بقي من الإباضيين على قيد الحياة إلى حضرموت فتعقبهم ابن عطية وقضى عليهم واحتل مدينة شبام وكانت مركزًا هامًّا لهم.

---

(١٤) كل مقره مدينة دمّون.

(١٥) كان الناس يلقبونه بالجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن. وبويع له بالخلافة في دمشق سنة ١٢٧ هـ.

ثم أتى ابن عطية كتاب من مروان بن محمد يأمره بالذهاب على عجل إلى مكة ليحج بالناس، فصالح ابن عطية أهل حضرموت، وذهب إلى مكة ومعه جماعة من الحضارم. فلما كان ببلاد مراد قتله الإباضية.

فلما علم ابن أخي عبد الله بن عطية[١٦] وهو بصنعاء، خبر قتل عمه، أرسل شعيبًا البارقي على راس جيش إلى حضرموت، فأوقع بالإباضية الذين كانوا بها. إلا أن قسوته تجاوزت الحدود، فقد قتل صبيانهم وبقر بطون نسائهم وأتلف أموالهم وأخرب ونهب قراهم. <٥٨>

وأُخمدت ثورة الإباضية بحضرموت سنة ١٣٠هـ (٧٤٧م).

وللمؤرخين الحضارم وغيرهم عن شخصية (طالب الحق) وعن ثورته وأهدافها أحاديث مطولة ومتضاربة لوّنتها الأهواء بأصباغها.

حضرموت في العهد العباسي

كانت الدولة الأموية تلفظ أنفاسها الأخيرة في عهد مروان بن محمد الجعدي. فكتب إليه نصر بن يسار رسالة يُعلمه فيها عن مغزى دعوة أبي مسلم الخُراساني وضمّنها الأبيات التالية وهي مشهورة في التاريخ الأموي، والأبيات لأبي مريم البجلي:

أرى خلل الرماد وميض نار ... ويوشك أن يكون لها ضِرَامُ

فإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب أوّلها الكلامُ

لئن لم يُطفها عُقلاء قوم ... يكون وقودها جثثٌ وهامُ

أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظٌ أمية أم نيامٌ

فإن كانوا لحينهمُ نيامًا ... فقل قوموا فقد حان القيامُ

وفي سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠م) انهزم مروان بن محمد الجعدي عسكريًّا أمام طليعة الحركة العباسية الصاعدة، ففر بفلول جيشه إلى مصر وقُتل في قرية (بُوصير) المصرية.

---

(١٦) وهو عبد الرحمن بن يزيد بن عطية السعدي.

وتولى الحكم أبو العباس السفَّاح، أول خلفاء بني العباس، فولّى على اليمن عمه داود بن علي فتُوفي في السنة نفسها. فعين مكانه ابن خاله محمد بن يزيد بن عبد المدان الحارثي. وفي سنة <٥٩> ١٤٣هـ (٧٥١م) عين السفاح على اليمن علي بن الربيع بن عبد المدان الحارثي.

وتُوفي السفاح سنة ١٣٦هـ (٧٥٣م) وتولى بعده أبو جعفر المنصور، فاستعمل على اليمن عبد الله بن الربيع بن عبد المدان الحارثي، فثار أهل اليمن سنة ١٤٢هـ (٧٥٩م) فعزله المنصور وولى مكانه معن بن زائدة ولما قدم معن اليمن قتل أهلها قتلًا فاحشًا، وقد استعمل على بعض مخاليفه، ومنها حضرموت، بعض أقربائه. وكان بعض قرابته فسقة ظالمين، فقتل أهل المعافر[17] أحدهم وقتل الحضارمة آخر منهم، فشدد معن بن زائدة في الانتقام من أهل المعافر ومن الحضارم إلا أن القتل في الحضارم كان فظيعًا حتى بلغ عدد القتلى خمسة عشر ألفًا كما يذكر المؤرخ الديبع[18]، وذلك لأن الحضارم حاربوه وقاوموه.

ويذكر الديبع أيضًا أن معن بن زائدة عاقب أهل اليمن بأمور أخرى غير القتل وذلك بأن ألبسهم السواد.

وقد مدح الشاعر مروان بن أبي حفصة معن بن زائدة بقصيدة على ما صنع بأهل حضرموت، ومن تلك القصيدة الأربعة الأبيات المشهورة التالية:

لقد أصبَحت في كل شرقٍ ومغربٍ ... بسيفك أعناق المريبين خضَّعا

وَطِئتَ خدود الحضرميين وطأةً ... لها انْهَدَّ ركنٌ منهم فتضعضعا

فأقعوا على الأذنابِ إقعاء معشرٍ ... يرون لزوم السلم أبقى وأنفعا

فلو مُدّت الأيدي إلى الحرب كلها ... لكفوا وما مدوا إلى الحرب إصبعا

(**١٧**) إقليم المعافر هو ما يعرف اليوم بالحُجرية في اليمن الاسفل، وقديمًا كانت عاصمته (جبا) ثم (الدّملوة).

(**١٨**) عبد الرحمن بن علي الديبع الزبيدي صاحب كتاب (الفضل المزيد في أخبار زبيد) وغيره.

<٦٠> وبقي معن واليًا على اليمن تسع سنين حتى ولاه المهدي العباسي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) (٧٧٤ - ٧٨٥ م) سجستان بأرض العجم، واستخلف على اليمن ابنه زائدة بن معن فمكث واليًا بها ثلاث سنين[١٩].

بيد أن الحضارم بعثوا إلى معن بن زائدة من يغتاله في مستقر حكمه ببيست (سجستان).

وهكذا توالى خلفاء بني العباس على الحكم في بغداد، وتوالى عمالهم على اليمن. وكانت اليمن تموج بالفتن والاضطرابات والأطماع السياسية.

وكانت الحالة العامة بحضرموت ليست بأحسن ولا بأهدأ مما هي عليه في مخاليف اليمن الأُخرى.

ثم تولى الحكم الخليفة المأمون سنة ١٩٨ هـ (٨١٣ م).

وعلى إثر تمرد قبيلة الأشاعر باليمن عين المأمون عاملًا له على تهامة هو محمد بن عبد الله بن زياد سنة ٢٠٢ هـ (٨١٧).

دولة بني زياد:

فأخضع ابن زياد الأشاعر وأعاد الأمور إلى نصابها وجعل مدينة زبيد عاصمة حكمه سنة ٢٠٤هـ (٨١٩ م) وفي سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) أنشأ محمد بن زياد هذا (دولة بني زياد) باليمن، وقد سمّاها المؤرخ بهاء الدين الجَنَديّ (صدر الدولة اليمنية الحديثة) إذ كانت أول دولة تقام في اليمن مستقلة عن النفوذ العباسي.

وحكم محمد بن زياد اليمن زهاء أربعين سنة حتى تُوفي، وخلفه عل الحكم ابنه إبراهيم سنة ٢٤٢ هـ (٨٥٦ م). وقد دامت دولة بني زياد ما يقرب من مائة وسبع وتسعين سنة، كان آخر حكامها <٦١> الحسين بن سلامة (٣٩١ ـ٤٠٢ هـ) (١٠٠٠ - ١٠١١ م) وهو مولى بني زياد، وقد تولى الحكم حيث لم يبق من بني زياد غير طفل صغير اسمه أبو الجيش.

---

(١٩) جاء أن معن بن زائدة قضى على سطوة الإباضية في حضرموت، وما بقي منها دمَّرها محمد بن أبي يعفر الحوالي (الحداد في جن المشاريخ). <١٢١>

دولة بني يعفر:

وخلال حكم بني زياد في تهامة، قامت سنة ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) دولة بني يعفر في (شبام)[٢٠] أولًا ثم في (صنعاء). وقد أنشأها إبراهيم بن يعفر، وكان والده يعفر بن عبد الرحيم الحوالي الحميري قد عُين عاملًا على صنعاء سنة ٢٦٣ هـ - ٨٧٦ م) من قِبَل الخليفة العباسي المعتمد بن المتوكل ٢٥٦ - ١٧٩ هـ (٨٦٩ - ٨٩٢ م).

وتلاشت دولة بني يعفر سنة ٣٩٣ هـ، وكان آخر حكامها اسعد بن عبد الله (٣٨٧ - ٣٩٣هـ) (٩٩٧ - ١٠٠٢ م)

وفي عهد هذه الدولة غزا القرامطة اليمن سنة ٢٩٣ هـ (٩٠٥ م) بزعامة علي بن الفضل القرمطي.

وعلي بن الفضل هذا يمني وهو شخصية شاذة برزت على مسرح الأحداث اليمنية في اليمن الأعلى، وكان أول ظهوره في يافع بصفته داعيًا لعبيد الله المهدي من ذرية عقيل بن أبي طالب. وقد تمكن ابن الفضل من الظهور بالزهد والصلاح فالتف حوله أُناس كثيرون. ثم استطاع جمع أموال طائلة سخرها في الفتن والأطماع السياسية. فراح يغزو الأقاليم اليمنية. وفي (المذيخرة)[٢١] التي جعلها قصبة ملكه نشر مذهبه الإباحي الذي أجمله في <٦٢> قصيدة مشهورة، منها قوله:

خذي الدف يا هذه، واقربي ... وغني هَذاديك[٢٢] ثم اطربي

تولى نبيٌّ بني هاشم ... وهذا نبيٌّ بني يعرب

لكل نبي مضى شِرعة ... وهاتا شريعة هذا النبي

فقد حطّ عنا فروض الصلاة ... وفرض الصيام فلم نتعب

إذا الناس فلا تنهضي ... وإن صوّموا فكلي واشربي

---

(٢٠) شبام باليمن الأعلى ويقال لها شبام حمير، وهي غير شبام حضرموت.

(٢١) المُذيْخَرة مدينة قديمة في تهامة.

(٢٢) هذاديك أي مرة بعد أخرى.

ولا تطلبـــي الـــسعي عنـــد الـــصفا   ولا زورة القبــــر فــــي يثــــرب

ولا تمنعـــي نفـــسك المَعرســـين   مــــن الأقــــربين أو الأجنبــــي

بمـــاذا حللـــت لهـــذا الغريـــب   وصـــــرت محرمـــــة لـــــلأب

ألـــيس الغِـــراَس لمـــن ربـــه   وأســـقاه فـــي الـــزمن المجـــدب

ومـــا الخمـــر إلا كمـــاء الـــسماء   يحـــلّ، فقدســـت مـــن مـــذهب[٢٣]

وقد هاجم القرامطة حضرموت في بداية القرن التاسع الهجري (٩١٣م). وبقي لهم نفوذ بها فترة من الزمن، وكان المذهب القرمطي، الذي أول ما ظهـر فـي العراق، قد انتشر في بعض أنحاء العالم العربي. ولم تدم الحركة القرمطية أكثر من ثلاثين عامًا على وجه التقريب.

الإمامة في اليمن

وفي سنة ٢٨٤ هـ (٨٩٧م) بويع الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم (من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب) أول إمام في اليمن، <٦٣> وكان مستقره (صعدة). وكان بعض أهل شمال اليمن الأعلى قد استدعاه من المدينة المنورة حيث عُرف بالعلم والعبادة والتقوى والصلاح. وله مؤلفات منها (الأحكام) وقد نهج فيه نهج الإمام مالك في (المُوطَّأ)، وكذا (المُنتخَب) و(الفنون) في الفقه.

ومعظم أئمة اليمن من أولاده وعددهم تسعة وخمسون إمامًا وهم الذين يسمون بالحَسَنِيين. أما الباقون فينتسب خمسة منهم إلى الحسن بن زيد بن علي بن أبي طالب، واثنان إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وهم الحُسَيْنيُّون[٢٤].

وكانت اليمن قد انفصلت عن الحكم العباسي. ودارت بين الإمام الهادي وبني يعفر وغيرهم من ذوي السلطة السياسية في اليمن معارك عديدة، كما أن اصطدامات دموية جرت بينه وبين علي بن الفضل القرمطي.

---

(٢٣) لعل تصوير المذهب القرمطي بهذه الصورة فيه مبالغة من وضع أعداء القرامطة. وعلى أي حال فإن هذه الأبيات ينبغي أن تؤخذ بتحفظ شديد ويجب ألا ينظر إليها كقضية مسَلَّمَة والجدل يطول في هذا المجال.

(٢٤) كان آخر أئمة اليمن البدر بن أحمد بن يحيى وقد أطاحت به الثورة اليمنية في ١٩٦٢/٩/٢٦ م.

***

حالة حضرموت بين ٤٠٢ ـ ٦٦٢ هـ (٧٥٠ ـ ١٠١٠ م)

في خلال هذه الفترة التاريخية ظلت حضرموت تحت حكم اليمن الأعلى اسـميًّا. فكان أهله في واقع الأمر، هم الحكام الفعليون لها. وكانـت الـبلاد الحـضرمية مجزأة إلى مناطق عشائرية يتحكم في كل منطقة منها رئيس عشائري من ذوي القوة والمَنْعَة.

ومن المؤسَف له أن المؤرخين أهملوا تاريخ حضرموت عن تلك الفترة. وكل ما يُعرف عنها هو قولهم (إن الحاكم الزيادي أو اليعفري أو غيرهما بـسط حكمـه على حضرموت)، ولا أكثر من ذلك. <٦٤>

والحقيقة أن استقلال حضرموت بشئونها كان متسقًا مع طبيعة الأشياء ذلك لأن الحكام في شمال اليمن كانوا في شغل شاغل بفتنهم المستعرة فيما بيـنهم، بـل إنهم في الواقع كانوا حكام قرى ومدن أو مناطق قبلية محدودة، ولم يكـن أحـد منهم من ذوي الشوكة والنفوذ الواسعين، ومنهم من كان «يعـدّل»[٢٥] بـلاده للحكام الأجانب.

قدوم المهاجر أحمد بن عيسى إلى حضرموت

ومن أهم ما حدث بحضرموت إبّان العهد الزيادي قدوم السيد أحمد بن عيسى جَد العلويين بحضرموت. وكان قد قدم من البصرة سنة ٣١٨ هـ (٩٣٠م) يرافقـه ابنه عبيد الله وحفيده بَصري بن عبيد الله وجماعة من عائلته وأتباعه.

قدم المهجر أولًا إلى قرية (الجُبَيْل) بوادي دوعن، ولم تطل إقامته بها، فغادرهـا إلى مدينة الهجرين، ثم إتجه منها إلى (قارة بني جُشَير) وهي إحدى قرى كنـدة القديمة. وتقع هذه القرية بالقرب من قرية (بور).

وكان لقدوم المهاجر إلى حضرموت ولأحفاده من بعده أثر عظـيم فـي تـاريخ حضرموت السياسي والاجتماعي والمذهبي. وقد غدا أحفاد المهاجر إلى اليـوم من أهم مصادر التصوف في حضرموت.

---

(٢٥) (عدّل المدينة الفلانية) تعني حيث تُذكر في التواريخ الحضرمية أن حاكمها جعلها وثيقةً على الوفاء لحاكم آخر بالسمع والطاعة أو عدم الاعتداء.

فقد كانت الاضطرابات الثورية في جنوب العراق خلال الحكم العباسي وهذا السبب نفسه هو الذي دفع من قبل بأئمة اليمن إلى الفرار من العراق إلى المدينة المنورة. كما دفع بجد آل <٦٥> باوزير إلى الفرار من العراق إلى المكلا.

أما قدوم المهاجر إلى حضرموت واختياره لها دارًا بعد أن طاف بالحجاز واليمن الأعلى بعد مغادرته وطنه الأصلي العراق، وكذا قبره ومذهبه ونواح أُخرى من نشاطه وتاريخ حياته بصورة عامة فقد كتب عن كل ذلك المهتمون بتاريخ هذا السيد الجليل الصفحات العديدة، وهي ممتعة ومفيدة لمن يهمه الاطلاع عليها، وقد تُوفي المهاجر بالحُسَيِّسَة سنة ٣٤٥ هـ (٩٥٦م) ودُفن بها.

ويُعرف أحفاد المهاجر في حضرموت بالعلويين نسبة إلى جدهم الأعلى علوي بن عبيد الله بن أحمد بن عيسى المهاجر.

وفي رأينا أن أحدًا من الذين تديَّروا حضرموت، في تاريخها المعروف، حكّامًا أو محكومين، قادة أو أتباعًا، لم يترك من المعالم البارزة في هذه البلاد مثل ما تركه السيد المهاجر وبعض الأكابر من أحفاده[٢٦]. فقد كان تأثيرهم على سير الأحداث بحضرموت أقوى من تأثير مشائخ حضرموت على ما للمشائخ من نفوذ وسمو مقام عند الحضارم. ومما وقفنا عليه من تاريخ حياة المهاجر وبعض من أحفاده أن أبرز ما تميزت به عهودهم أنهم لم يسعوا إلى مُلك أوسيطرة سياسية في حضرموت ولكنهم إنما كان بعضهم بحق، ورغم كل المكاره التي صادفتهم، دُعاة خير إلى الطرائق السويَّة، وكان مشهورُهم تغمره بركة مستورهم كما قد قيل قديمًا عنهم.

دولة بني نجاح:

بعد وفاة الأمير الحسن بن سلامة، آخر ولاة بني زياد، استولى على الحكم نجاح الحبشي، أحد موالي بني زياد، واستقل بالسلطة في <٦٦> تهامة وجعل مقر حكمه مدينة زبيد.

---

(٢٦) أشهر أحفاد المهاجر محمد بن علي بن محمد العلوي (٥٧٤ ـ٦٥٣ هـ) (١١٧٨ ـ١٢٥٤ م) الملقب بـ«الإمام الفقيه المقدم». لم يكن أول متصوفة حضرموت ولكن التصوف غلب على حضرموت منذ عهده، وله سيرةٌ من الخير الاطلاع عليها.

واستمرت دولة بني نجاح في خضم من الفتن والصراع على السلطة، مع الصليحيين وغيرهم من عام ٤٠٣ إلى عام ٥٥٥ هجرية (١٠١٢ - ١١٦٠م)، إلا أنها دولة كانت منحصرة في تهامة.

ومن أُمراء بني نجاح (جيّاش بن نجاح) وكان يلقب بالعادل بن الطّامي، وهو مؤلف كتاب (المفيد عن أخبار زبيد). وقد حكم الأمير جياش من سنة (٤٨٣ ــ٤٩٨ هــ) (١٠٩٠ ــ١١٠٤م). وآخر أمراء بني نجاح الأمير فاتك بن محمد بن فاتك (٥٤٠ ــ٥٥٥ هــ) (١١٤٥ ــ١١٦٠م).

دولة الصليحيين:

أنشأ هذه الدولة الأمير علي بن محمد الصليحي (٤٣٩ ــ٤٥٨ هــ) (١٠٤٧ - ١٠٦٥ م) وكان مقره الأول جبل مسار ثم تمركز بصنعاء.

ويقال إن ملك الصليحيين إمتد إلى حضرموت ساحلها وداخلها، إلا أننا لا نعلم شيئًا عن طبيعة ذلك الحكم ولا عن كيفية استيلاء الصليحيين على حضرموت. على أنه من المعروف أن الحكام الصليحيين، بوصفهم من حكام الشيعة، قد ساعدوا على توطيد مركز العلويين في درجة الإباضيين الذين كانوا مناوئين لهم في حضرموت، وساعدوا على تقليص النفوذ الإباضي[٢٧].

وكانت عدن حين برز الصليحيون على مسرح الأحداث، تحت حكم بني معن (علاقة لهم بمعن بن زائدة الشيباني) حين كانوا <٦٧> عمالًا عليها من قِبَل بني جعفر.

وعندما استولى الصليحيون على عدن أبقوا بني معن نوابًا عليها تحت إشراف الأمير أحمد بن جعفر بن موسى الصليحي والد السيدة (التي عُرفت منذ صغرها أروى وهو لقب يعني الظبية وقد غلب على اسمها). وبقي الأمير أحمد بعدن حتى مات في حادثة انهدام منزله عليه.

وكان بنو معن يدفعون للصليحيين جُزءًا من إيرادات عدن السنوية.

---

(٢٧) **الحامد**: في تاريخ حضرموت. انظر الهامش رقم ١٥.

وكانت لبني معن علاقات تجارية قوية مع الساحل الحضرمي، وهـــي العلاقـــات التقليدية القديمة بين عدن والشحر. فلما استولى الصليحيون على عـــدن امتـــد نفوذهم عن طريق بني معن إلى حضرموت ساحلها وداخلها.

وقد جعل الصليحيون لهم نوابًا في حضرموت، هم، كما يقال محليًّا، آل فـــارس على الشحر، وآل الدَّغَّار على شبام، وآل قحطان على تريم. وهؤلاء جميعهم من الحضارم، وكانوا من ذوي السلطة في مناطقهم.

ولما زَوج الأمير علي بن محمد الصليحي ابنه المكرّم بالسيدة أروى بنت أحمـــد الصليحية جعل صداقها جزءًا من إيرادات عدن، فاستمر بنو معن يدفعون هـــذا الخراج المقرر عليهم.

وعندما امتنع بنو معن عن دفع الخراج، داهمهم المكرم بـــن علـــي الـــصليحي وطردهم من عدن، وولاها بعض أقاربه، وهم العباس والمسعود ابنـــاء المكـــرم الهمداني، بعد أن قسَّم (عدن) إلى قسمين بينهمـــا، إذ جعـــل للعبـــاس حـــصن التعكر[٢٨] وما يأتي من البر، <٦٨> وللمسعود حصن الخضراء[٢٩] وما يليه من البحر. واستخلفهما للسيدة أروى على أن يسوق كل منهما إليها خمسين ألف دينار كل عام. وقد استمرا على ذلك، كما استمر من جـــاء مـــن بعـــدهما مـــن أولادهما إلى وفاة السيدة أروى.

ومن حكام الصليحيين المشهورين السيدة أروى بنت أحمد سالفة الـــذكر. وقـــد حكمت معظم البلاد اليمنية بعد أن شاركت زوجها المكرم في تدبير شئون الدولة منذ قيامه حتى مات، وقبضت على أزِمة الأمور في البلاد مـــن ســـنة ٤٨٤ - ٥٣٢ هـــ (١٠٩١ - ١١٣٧م).

ويذكر التاريخ السيدة أروى بالفضل والدَّهاء، وسمو التفكير وسداد الرأي، ولها محاسن في اليمن كثيرة، منها بناء جامع (ذي جبلة) وعمارة الجنـــاح الـــشرقي للجامع الكبير بصنعاء، وغير ذلك من المساجد ومعاهد العلم والوقفيات الكبيـــرة

---

(٢٨) التعكر هو جبل حديد المطل المعلا وفيه باب عدن الرئيسي.

(٢٩) الخضراء هو الجبل الذي تمر باسفله الآن الطريق البحرية من خور مكسر إلى كريتر. والجبل المواجه لجبل صيرة <١٢٢> يقال له جبل المنظر وهو مفصول عن جبل صيرة بفج صغير.

والصدقات ورواتب العلماء والمرشدين والمدرسين. وقد تُوفيت السيدة أروى بمدينة (ذي جبلة)[٣٠] سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧م) ودُفنت بجامعها الشهير بعد أن اسندت وصيتها إلى آل الزريع حيث تولى الأمر سبأ بن أبي السعود بن زريع الملقب بـ (الدّاعي).

دولة بني زريع وبني حاتم وبني مهدي

لما تُوفي العباس بن المكرم الهمداني خلفه ابنه زريع بن العباس على ما كان متوليًا عليه من عدن. وقد سُميت الدولة الزريعية باسمه.

وامتد حكم بني زريع من سنة ٤٧٠ - ٥٦٩ هـ (١٠٧٧ ـ١١٧٣ م). <٦٩>

وقد اشترك بنو زريع إلى جانب الصليحيين في صراعهم ضد بني نجاح وحققوا انتصارات لها شأن في التاريخ.

وبعد أن ضعف شأن الصليحيين بوفاة السيدة أروى بنت أحمد امتد نفوذ بني زريع إلى خارج عدن، فاستولوا على المعافر وتهامة في حياة الداعي سبأ بن أبي السعود. وقد تُوفي الداعي سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨م) بحصن الدَّملُوة.

وكان آخر أُمراء بني زريع أبو الدر جوهر العظمي، وقد حكم بين سنة ٥٦٠ و٥٦٩ هـ (١١٦٤ ـ١١٧٣م) ومنه انتزع الأيوبيون مُلك اليمن.

وخلال عهد الصليحيين والزريعيين قامت في اليمن الأعلى دولتان صغيرتان هما دولة بني حاتم (٤٩٢ - ٥٦٩ هـ) (١٠٩٨ - ١١٧٣م)، ودولة بني مهدي (٥٥٣ - ٥٦٩ هـ) (١١٥٨ - ١١٧٣ م) ولم يكن لها أية علاقة بحضرموت.

وقد جرف التيار الأيوبي هذه الدول الثلاث كما سيأتي ذكر ذلك في الفصول القادمة.

الأيوبيون في اليمن

قامت دولة الأيوبيين في مصر على أنقاض الحكم الفاطمي الذي انتهى سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠م). وقد اسس هذه الدولة صلاح الدين بن نجم الدين أبو الشكر أيوب، وباسمه سُميت الدولة.

---

(٣٠) هذه المدينة لم يبق منها اليوم إلا بعض خرائبها.

ومن طموحات الأيوبيين في الحكم القضاء على الشيعة في مصر وإحلال الـــسنة محلها وإشعال الحرب ضد الصَّليبيين.

وقد تمكن صلاح الدين الأيوبي من قهر الصليبيين في عدة <٧٠> وقائع شهيرة، منها وقعة (حطِّين)، كما تمكن من فتح القدس الشريف، ومن إلحـــاق الهزيمـــة بالحملات العسكرية الصليبية التي كان يقودها ريتـــشارد (قلـــب الاســـد) ملـــك بريطانيا.

وقد انتشر نفوذ الأيوبيين إلى العراق وسوريا والحجاز واليمن. ومن مآثر صلاح الدين الأيوبي الخالدة بناؤه مدرسة الأزهر الشريف لتدريس المذاهب الأربعة أما الأزهر فقد كان بناؤه في عهد الفاطميين.

وقد انتهت دولة الأيوبيين سنة ٦٥٠ هــ (١٢٥٢ م) بقيام دولة المماليك فـــي مصر التي بدأت بالملكة شجرة الدُّر سنة ٦٤٨ هــ (١٢٥٠ م).

أما قدوم الأيوبيين إلى اليمن فكان سببه أن الفوضى العشائرية استبدت باليمن، فاستنجد أهلها بالخليفة الفاطمي بمصر(ذلك قبل قيام دولة الأيوبيين) فأمر وزيره صلاح الدين الأيوبي بنجدة اليمنيين، فبعث صلاح الدين أخاه تُوران شاه علـــى راس جيش كبير إلى اليمن، فوصل (زبيد) في شهر شـــوال ســـنة ٥٦٩ هـــــ (١٩٧٤ م) وقضى على الفوضويين، وأنهى من تبقى من حكام الصليحيين وبني حاتم وبني مهدي.

وهكذا كان قدوم الأيوبيين إلى اليمن خاتمة كل الدويلات التي كانت قائمـــة فـــي اليمن الأعلى.. ثم اتجه الأيوبيون نحو عدن فأزالوا عنها وعن نواحيها حكم بني زريع.

حضرموت تستقل بأمرها عن اليمن الأعلى

وبانتهاء حكم الصليحيين في اليمن صارت حـــضرموت تحـــت <٧١> ولاتهـــا السابقين المحليين مستقلة بأمرها في بداية النصف الثاني من القرن الخـــامس الهجري (١٠٥٩ م).

وتقسم حضرموت إلى ثلاث إمارات أو أكثر، إحداها إمارة آل قحطان، ومركزها مدينة تريم، والثانية إمارة بني الدغَّار، ومركزها شبام، والثالثة إمارة آل فارس، ومركزها مدينة الشحر.

وقد مكثت حضرموت بين هذه الإمارات الثلاث تتخبَّط في ظلام الفوضى والتطاحن بينها، كما تعرضت لانتفاضات الثائرين وغارات القبائل مدة من الزمن، واستمرت كذلك إلى أن استولى عليها عثمان الزنجيلي، نائب الأيوبيين على عدن ونواحيها، سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠م)!، وقد بقيت هذه الإمارات تحت سلطة الزنجيلي ردحًا من الزمن ثم انتفضت عليه، وعادت من جديد تصارع الأقدار، وكأن لم يكن لأهلها إلا الاقتتال فيما بينهم والاقتتال مع الآخرين. وليس ذلك بمستغرب من حكام عشائريين ينظم علاقاتهم الداخلية والخارجية قول عشائري مأثور وهو (من عَزَّ بَزَّ).

إمارة بني قحطان

أول أُمراء هذه الإمارة هو قحطان بن العوام بن أحمد القحطاني ويرجع بنسبه إلى فهد بن القيل يعفر بن مرة بن حضرموت بن سبأ الأصغر.

ولا يُعرف بالضبط التاريخ الذي أُقيمت فيه هذه الإمارة أول عهدها والاحتمال القوي أنها أُقيمت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي). <٧٢>

ومن سلاطين هذه الإمارة السلطان عبد الله بن راشد بن شَجَعَنَة القحطاني وهو الأمير المشهور الذي يُنسب وادي حضرموت الرئيسي إليه، فيقال له إلى اليوم "وادي ابن راشد" وكان هذا فقيهًا وعادلًا، وكان مولده بتريم سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م). وقد تُوفي سنة٦١٦ هـ (١٢١٩ م). وآخر سلاطينها فهد بن عبد الله، وقد تولى الحكم في حياة أبيه سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م).

إمارة بني الدغّار [٣١]

أول أُمراء هذه الإمارة الدغار بن أحمد الهزيلي. والهزليون أُمراء شبام يلتقون في النسب في آل قحطان عند فهد بن القيل يعفر بن مرة بن حضرموت بن سبأ الأصغر. وفيهم قال نشوان بن سعيد الحميري:

وبنـــي الهزيـــل وآل فهـــدٍ مـــنهم   مـــن كـــلَ هـــشَ للنـــدى مرتـــاح

وقد قامت هذه الدولة في مدينة شبام بعد زوال السلطة الإباضية منها وكان آخر سلاطينها راشد بن أحمد بن النعمان. وفي عهده استولى آل يماني على شـــبام وكانت نهاية إمارة بني الدغار، وذلك في سنة ٦٠٥ هـــــ (١٢٠٨ م). وبعـــد طردهم من شبام أقام آل الدغار إمارة صغيرة لهم في وادي حجـــر فـــي العـــام نفسه. <٧٣>

إمارة آل فارس بن إقبال

لا يُعرف الأمير الأول الذي أنشأ هذه الإمارة، ولكن عبد الباقي بن فـــارس بـــن إقبال كان أول أمير ذكرته التواريخ. وقد تُوفي بمأرب سنة ٥٤٧ هـــــ (١١٥٢ م).

ومن أُمراء آل إقبال الأمير عبد الرحمن بن راشد بن إقبـــال ســـلطان الـــشحر واختلف المؤرخون حول نسبته. فبعضهم يزعم أنه من آل فـــارس بـــن إقبـــال وبعضهم الآخر يزعم أنه من آل قحطان. ويبدو لنا أنه مـــن آل قحطـــان الـــذين استولوا على الشحر بعد أن انتزعوها من آل فارس. وفيها يقول الشاعر الشعبي العدني أبو حنيفة النقيب:

أنـــت أنـــت الـــذي إن عـــادلوا   بـــك ملـــوك الـــورى لـــم يعـــدلوك

أنـــت فـــي البـــر وهّـــاب القِـــرى   أنـــت فـــي البحـــر وهـــاب الفلـــوك

إن مُـــدح بـــالكرم معطـــي المِيّـــة   فبمـــا يُمتـــدح مـــوطى اللكـــوك

كـــل مُـــلاّك (قحطـــان) الـــورى   بكفالـــة ملكهـــم قـــد كفلـــوك[٣٢]

---

(٣١) بعض التواريخ تستعمل (الدعّار) بالعين المهملة ولعله تصحيف.

(٣٢) (ثغر عدن) لأبي مخرمة.

وقد استولى على عدد من مدن وقرى وادي حضرموت بالشراء من ولاتها سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٥ م) ولكنها - وذلك ما يحدث دائمًا - خرجت عن يده بعد ثلاث سنين من شرائها. وشراء البلدان عادة تقليدية في حضرموت - كما كانت في نواحٍ أُخرى من العالم - واستمرت إلى القرن الثالث عشر الهجري[٣٣].

وقد تُوفي عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن راشد سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) ودُفن بالشحر، وقيل إنه مدفون بناحية أُخرى من حضرموت. إن تواريخ قيام وزوال هذه الإمارات غير محققة. أما من الناحية السياسية فلعل أصدق وأوجز وصف أطلعنا <٧٤> عليه لهذه الإمارات ما قاله الشاطري عنها وهو: (إن دولة كل من هؤلاء الأسر التي توارثت السلطنة على حضرموت لها مد وجزر وانبساط وانكماش وقد يعتريها الضعف حتى يكاد يقضي عليها، ثم تنبعث مرة أُخرى من جديد ويتجدد شبابها. كما أن نهاية زمن السابقة يكون بداية زمن اللاحقة، وقد يطول هذا الزمن المشترك بينهما يتنازعان فيه البقاء حتى تتغلب القوية على الضعيفة، كما يقع هذا كثيرًا في التاريخ (وخاصة في تاريخ الدولة اليمنية الشمالية التي مر ذكرها في الفصول السابقة).

كل هذا مع عدم خلو المطاف دومًا بحضرموت من أشخاص واسر وقبائل وأخرى تتجاذب الحبل أيضًا مع هذه السلطنات في عهودها[٣٤].

وإذا كانت هذه الإمارات تتنازع السلطة فيما بينها ومع الطَّامعين والفوضويين الآخرين في شرقي حضرموت وساحلها، فإن غربي حضرموت ظلَّ مسرحًا للصراع العشائري بين قبائل أُخرى أهمها قبيلة خيثمة (نهد). التي كانت شوكة في جنب الإمارات الثلاث سالفة الذكر.

---

(٣٣) اشترى آل با حميد قرية مدُودة من آل كثير ٨٨٦ هـ - ١٤٨١ م.

اشترى آل كثير قرية الغرف من آل تميم سنة ١٢٦٢ هـ ـ١٨٤٥ م.

اشترى القعيطي نصف مدينة شبام آل كثير سنة ١٢٧٥ هـ - ١٨٥٨ م.

اشترى العوالق قرية (الحزم) الصَّدَاع من آل بريك سنة ١٢٨٠ هـ - ١٨٦٣ م.

إشترى القعيطي نصف المكلا من آل كساد سنة ١٢٩٠ هـ - ١٨٧٣ م.

كل هذا على سبيل المثال لا الحصر.

(٣٤) ص ١٦٥ من كتابه (أدوار التاريخ الحضرمي) جزء (١).

عثمان الزنجيلي[٣٥] يغزو حضرموت

السبب الذي دفع بعثمان الزنجيلي إلى غزو حضرموت غير معروف. فمن المؤرخين من يقرر أن السبب كان (الطمع في الاستيلاء على حضرموت)[٣٦]، ومنهم من يرى متأكدًا (أن الخوارج هم الذين جائوا بالغز)[٣٧] إلى حضرموت للقضاء على الشيعة وعلى أنصارهم كما يبدو. <٧٥>

وفي سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) جهز الأيوبيون جيشًا من اليمنيين والشماليين ومن الأكراد والأتراك الذين عُرفوا في التاريخ الحضرمي وغيره بـ (الغُز) تحت قيادة عثمان الزنجيلي. فاحتل الزنجيلي الشحر، وبعدها احتل تريم وشبام، فأزال بهذا الاحتلال عن هذه المدن سلطان آل قحطان وآل فارس وآل الدَّغار. وفي غزوه هذا ارتكب الزنجيلي بعض الفظائع منها قتل بعض فقهاء الحضارم.

وعاد الزنجيلي إلى عدن بعد أن ترك أخاه (الأسود) أو (السُّوَيَّد)[٣٨] الزنجيلي واليًا على حضرموت.

وثارت قبائل حضرموت في عهد (السويد الزنجيلي) ولم يستطع كبح جماحها، وعادت إمارات آل قحطان وآل إقبال وآل الدغَّار إلى الظهور. ولا يُعرف ماذا كان مصير (السّويد). فأرسل الأيوبيون إلى حضرموت جيشًا كثيفًا بقيادة عمر بن مهدي اليمني لإخضاع الإمارات الثلاث. فاستولى ابن مهدي على الشحر وتريم وشبام بعد مجازر رهيبة.

وفي سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤م) ثارت قبيلة نهد على ابن مهدي في وادي شُحُوح وهاجمت ابن مهدي في شبام وقتلته. وكان في ذلك نهاية وجود الأيوبيين بحضرموت.

---

(٣٥) نسبة إلى قرية (زنجيلة) بسوريا.

(٣٦) ص ٨١ من (صفحات من التاريخ الحضرمي) لباوزير.

(٣٧) عقود الألماس لعلوى بن طاهر الحداد.

(٣٨) من اسم هذا الولي جاء المثل الشعبي الحضرمي (قَبضها <١٢٣> سُوَيد ونم) **أي**: (دع الأمور في يدي السويد واطمئن) وهو مثل يقال في مقام التهكم.

دولة آل يماني

أنشأ هذه الدولة الأمير مسعود بن يماني بن لبيد الضنّي سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) على أثر اندحار الأيوبيين من حضرموت. واستولى على معظم مدن وقرى حضرموت الداخل بعد أن طرد منها حكامها الصغار. وقد حاول مسعود الاستيلاء على الشحر، <٧٦> لكن حكامها آل إقبال استعصوا عليه فصالحهم على الصداقة المتبادلة وعاد أدراجه إلى الداخل.

وبما أن (بني ضنة) و (نهد) يرجعون بنسبهم إلى رابطة واحدة هي عشيرة (بني حرام) بن ملكان بن كنانة من قضاعة، فإن (نهد)ساعدوا آل يماني في توطيد دعائم دولتهم أو أنهم. في الأقل. لم يعرقلوا نموها وتوسعها.

وفي بداية هذه الدولة بدأ شأن آل كثير يظهر كقبيلة قوية في حضرموت يرجع أصلها أيضًا إلى (بني حرام) أيضًا. وكان آل كثير قد عمروا مدينة (عينات) سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) في وادي بُوح (وهي عينات القديمة لا الجديدة التي اختطها الشيخ أبو بكر بن سالم العلوي).

دولة الرسوليين باليمن الأعلى

في سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) قامت دولة بني رسول. وينتهي نسبهم إلى محمد بن هارون أحد وزراء الأيوبيين بمصر (وهو من الأكراد). وكان لمحمد هذا حظوة عند الخليفة العباسي. وكان قد أرسله إلى مصر والشام في عدة مناسبات وبهذا أُطلق عليه اسم (رسول). وكان أول أُمراء هذه الدولة المنصور بن عمر بن علي بن رسول. وقد أنابه المسعود الأيوبي (آخر أُمراء بني أيوب) في اليمن (٦١٢ - ٦٢٦ هـ) (١٢١٥ - ١٢٢٨ م) عندما توجه إلى مصر سنة ٦١٥ هـ (١٢١٨ م).

وقد ظلّت دولة بني رسول في حروب مستمرة مع أئمة اليمن رغم تمكن الرسوليين من الاستيلاء على تعز وإب وصنعاء وجانب من المقطعات الشمالية اليمنية. <٧٧>

وبالنظر الى الصعوبات التى صادفها مسعود بن يماني في إرساء قواعد دولته، فقد استعان بالمنصور الرسولي. وقد قدم الرسولي المدد العسكرى لابن يماني ولكنه لم يكن مددًا بما فيه الكفاية.

ومات مسعود بن يماني سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠م) وبنيت على قبره أول قبة تقام بمقبرة الفُرّيِّط بتريم.

وتولى عمر بن مسعود بن يماني الحكم بعد أبيه، وظلت صلاته ببني رسول مستمرة، وتولى بعد عمر بن مسعود أُمراء عديدون من آل يماني كانت عهودهم كلها صراعًا مع الحوادث الدامية.

سالم بن إدريس الحبوضي

في سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ م) ظهر على مسرح الأحداث الحضرمية سالم بن إدريس الحبوضي الظفاري المولد الحضرمي الأصل.

وهو سالم بن إدريس بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد الحبوضي نسبة إلى قرية حبوضة الواقعة شمال غرب سيئون أو شرقي تريم.

كان جده الأكبر محمد بن أحمد عاملًا للسلطان محمد بن أحمد الأكحل المنجوي(٣٩) أمير مرباط. فلما مات الأكحل ولم يترك عقِبًا تولى إمراته بعده محمد بن أحمد الحبوضي. فلما مات محمد تولى بعده ابنه أحمد الذي بنى مدينة ظفار سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٧ م) وأمر أهل (مرباط) أن ينتقلوا إليها. وبعد وفاة أحمد تولى بعده ابنه محمد ثم إدريس ثم سالم بن إدريس موضوع حديثنا.

---

(٣٩) من آل المنجوي الأمير حارثة الذي مدحه الشاعر التكريتي العدني بقصيدته المشهورة بالتكريتية سنة ٥٩٣ هـ (١١٩٦ م) والتي أولها:

عُج برسم الدار فالطل فالكثيب الفرد فالأثل

فبمأوى الشادن الغزل بين ظل الضال والجبل

ومنها:

الهزبر المنجوي إذا ألقت الحرب العوان أذى

هو تاج والملوك حذا بل حضيض وهو كالقلل

والبيت الأخير أثار الأمير طغتكين الأيوبي على الشاعر في حكاية معروفة في التاريخ.

وعلى أساس الفتن الضاربة أطنابها بحضرموت حاول سالم بن إدريس توسيع إمارته. فقدم إلى حضرموت سنة ٦٧٣ هـ <٧٨> (١٢٧٤ م) واشترى مدينة شبام واستعمل أخاه موسى عليها. ثم هاجم واحتل مدينتي سيئون ودّمون. وحاصر مدينة تريم وكانت حينها تحت حكم الأمير عمر بن مسعود بن يماني. وحاول ابن يماني الاستعانة ببني رسول لكنه لم يفز منهم بطائل. ومع ذلك صمد آل يماني في وجه الحصار الحبوضي الذي دام عدة أشهر.. وطال صمود ابن يماني فيئس الحبوضي من الاستيلاء على مدينة تريم وعاد إلى مدينة شبام، ثم غادر حضرموت إلى ظفار تاركًا آل كثير عمالًا على ممتلكاته الحضرمية.

ويذكر التاريخ أن سالم بن إدريس الحبوضي، خلال تملكه بحضرموت أوقف الكثير من الأراضي والنخيل في مقاطعات وادي عمد وحريضة وهينن وحورة والهجرين ودوعن ورخية وغيرها على المحتاجين من الغرباء المنقطعين وابناء السبيل ولا تزال هذه الصدقة الخالدة إلى الآن معروفة بين الحضارم بـ «صدقة الحبوضي» إلا أنها مع الاسف أشبه بالصدقة الضائعة أو هي ضائعة فعلًا.

وعندما احتل بنو رسول الشحر سنة ٦٧٧ هـ (١٢٧٨ م) وأرغموا حاكمها راشد بن شجعنة بن إقبال على الفرار منها، جهز الحبوضي حملة بحرية وبرية ضدهم لاستعادة الشحر ولكنه لم يفلح في محاولته.

ثم جرى بين الرسوليين والحبوضي ما جعل بني رسول يُجهزون على الحبوضي حملة عسكرية إلى ظفار. ودارت بين بني رسول والحبوضي معركة في قرية رِيْسُوت القريبة من بلدة ظفار حيث قُتل سالم بن إدريس الحبوضي وانهزم جيشه. فاحتل الرسوليون ظفار سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م). وظل بنو رسول يحكمون ظفار حتى <٧٩> سنة ٨٠٧ هـ (١٤٠٤ م) حين أخرجهم منها آل كثير[٤٠].

أما حكم الرسوليين للشحر فقد استمر حتى سنة ٨٣٦ هـ (١٤٣٢ م) حين انتزع الشحر منهم الأمير محمد بن سعيد أبو دجانة الكندي الذي سيأتي ذكره.

---

(٤٠) زار بن بطوطة ظفار، (في رحلته التي ابتدأها سنة ٧٢٥ هـ (١٣٢٤ م) أيام ملكها المغيث الرسولي المتولي عليها من قبل أخيه المظفر الذي قُتل سنة ٧٧٥ هـ (١٣٧٣ م).

وانتهت دولة بني رسول في اليمن الأعلى بالأمير مسعود أبي القاسم سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤م).

الدولة الكثيرية الأولى

كان آل كثير، بعد أن أقاموا مستقرًا لهم في عِينَات، قد شرعوا يتناجون فيما بينهم للقضاء على جميع السلطات الفوضوية في البلاد الحضرمية وتشييد (دولة كثيرية) على أنقاضها، وطفقوا يجمعون حولهم الأنصار ويستعينون بشتى الوسائل للوصول إلى هدفهم.

ولما قدم الحبوضي إلى حضرموت انتهزوا هذه الفرصة فأظهروا له الولاء والطّاعة وقاموا بالدعاية له وترويج سياسته، وتولّوا أعماله العسكرية، فلما عاد إلى ظفار مقر مملكته أناب عنه في الديار الحضرمية آل كثير يحكمون باسمه، كما تقدم، وكان ذلك سنة ٦٧٥ هـ (١٢٧٦ م).

وبعد قتل الحبوضي في ظفار تشبث آل كثير بما في أيديهم من البلدان التي كانوا يحكمونها باسم الحبوضي، وضاعفوا من جهودهم في القرب إلى رجال الدين من علويين ومشائخ فقام هؤلاء بنصرة آل كثير والدعاية لهم بين الجماهير.

واستولى آل كثير على معظم المدن والقرى الحضرمية في بداية القرن الثامن الهجري. واستطاعوا مع الزمن، أن يُقَلّصوا إمارة آل <٨٠> يماني حتى حصروها في مدينة تريم وكان حاكمها محمد بن أحمد بن سلطان آخر أمراء آل يماني.

وفي سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) استولى السلطان بدر بن عبد الله (بو طويرق) على تريم فخلصت حضرموت - ساحلها وداخلها - لآل كثير وتقوضت دعائم دولة آل يماني بعد أن دامت أكثر من ثلاثمائة سنة بين قوة وضعف ومد وجزر، حتى خارت قواها وآلت إلى ما آلت إليه، بعد أن كان قد سرى فيها سوس الانشقاق والتناحر الداخلي.

لكن آل يماني وفصائلهم الأخرى كآل تميم والمناهيل أصبحوا، في تاريخ متأخر، من أقوى العوامل في تدمير الدولة الكثيرية عند بزوغ فجر الدولة القطيعية، كما سيأتي تفصيل ذلك.

وفي الثمانينيات في القرن الثامن الهجري (حوالي ١٣٨٠ م) وُلد علي بن عمر بن جعفر الكثيري، وهو أول رئيس يحوّل الرابطة الكثيرية من قبيلة إلى دولـــة، وهو أول من نودى به سلطانًا[٤١] من آل كثير على حضرموت. وقد تُوفي علي بن عمر الكثيري سنة ٨٢٥ هــ (١٤٢١م).

دولة أبي دجانة [٤٢]

هو الأمير محمد بن سعيد بن فارس الكندي المكنّى أبو دجانة. وهو كندي الأصل وأمه ابنة معاشر المهري، وكان مقر دولته مدينة (حِيْرِيجِ) بالإقليم المهري.. ولا يُعرف كيف نشأت هذه الدولة.

وفي سنة ٧٣٦ هــ (١٤٣٢ م) هاجم أبو دجانة الشحر بمساعدة أخواله المهرة فانتزعها من حكامها الرسوليين، وبقي الحاكم <٨١> بها قرابة ربع قرن مـــن الزمن.

وفي سنة ٨٥٨ هــ (١٤٥٤ م) التجأ إلى الشحر عدد كبير من يـــافع برئاســـة الشيخ مبارك الكلدي، وكان الطاهريون قد طردوهم من عدن بعـــد أن اســـتولوا عليها.

وحسّن اليافعيون لأبي دجانة الاستيلاء على عدن ووعدوه بالمساندة وكان هـــو يخشى أن يداهم الطاهريون الشحر طمعًا في الاستيلاء عليها كما قد فعـــل مـــن سبقهم من حكام عدن أمثال الأيوبيين والرسوليين. فهاجم عدن بحملة عـــسكرية مكونة من المهرة والحموم ويافع كلد. لكن عاصفة بحرية شتتت اسطوله الغازي حول عدن فهزمه الطاهريون واسروه، وكان ذلك سنة ٨٦٢ هــ (١٤٥٧ م).

ثم أرسل الطاهريون كما قد توقّع أبو دجانة - جيشًا لاحتلال الـــشحر فـــاحتلوا جانبها الشرقي وبقيت والدة أبي دجانة تدافع مع من عندها من جنود أبي دجانة من جانب الشحر الغربي، فصالحها الطاهريون على إطلاق سراح ابنها من الاسر على أن تغادر الشحر هي وجماعتها إلى حِيْرِيج حيث سيصل ابنها راســـا مـــن

---

(٤١) سنة ٨١٤ هـ (١٤١١ م).

(٤٢) بعض التواريخ تذكر أنه من (نهد) وليس من كندة.

عدن، فقبلت ولم تغادر الشحر إلا بعد أن جاءها نبأ بوصول ابنها إلى حِيْــرِيج. واحتل الطاهريون كل الشحر سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٧ م).

دولة بني طاهر

كان علي بن طاهر تاج الدين بن معوضة الأموي القرشي وأخوه عامر بن طاهر واليين على عدن من قِبَل سلاطين بني رسول. وعند انتهاء الدولـــة الرســولية باليمن ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م) احتل الطاهريون عدن احتلالًا رسميًّا وطردوا منها بعض الفصائل <٨٢> اليافعية التي كانت مسيطرة بها كآل أحمد وآل كلد فالتجأ آل كلد إلى الشحر عند أميرها أبي دجانة.

وفي سنة ٨٦٤هـ (١٤٥٦م) تمكن الطاهريون من الاستيلاء على الشحر ودحر أبي دجانة عنها.

فبادر آل كثير، وذلك على عهد سلطانهم بدر بن محمد بــن عبــد الله الكثيــري (تُوفي سنة ٩١٥هـ - ١٥٠٩م) وأنشأوا مع الطاهريين علاقات ودية.

وبالنظر إلى الفتن التي ثارت على الطاهريين في اليمن، أقام الطاهريون السلطان بدر بن محمد بن عبد الله الكثيري عاملًا لهم علــى الــشحر ســنة ٨٦٨هـــ (١٤٦٢م). وكان هذا أول اتصال لآل كثير بالشحر.

وفي سنة ٨٨٣هـ (١٤٧٨م) جاء سعد بن مبارك أبي دجانة (ابن أخي محمــد بن سعيد) وانتزع الشحر من يد السلطان بدر بن محمد الكثيري. وكانـــت تلـــك نهاية سيطرة الطاهريين على الشحر.

وفي سنة ٩٠١هـ ـ (١٤٩٥م) هاجم الكثيرون الشحر بقيادة السلطان جعفر بن عبد الله الكثيري وطردوا أبادجانة منها، وكانت هذه نهاية حكم آل أبــي دجانـــة بالشحر.

وظلت العلاقات الحسنة قائمة بين آل كثير والطاهريين وكان الكثيريون يــدفعون خراجًا - رمزًا للولاء - للطاهريين قدره أربعة آلاف أشرفي ذهبًــا (مــن ذوات الثمان قطع) وعشرين رطلًا من العنبر الأصلي وكميات من المواد الغذائية.

ومن بين عمال الطاهريين على عدن الأمير مرجان الظَّفري الذي استطاع بحنكته ودهائه أن يجنب عدن العديد من النكبات، <٨٣> وفي مقــدمتها صــده الغــزو

البرتغالي[٤٣] عنها سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م)، وكان هذا الأمير علـى علاقـات طيبة جدًّا مع الحضارم عمومًا، حكامًا ومحكومين.

السلطان بدر بوطويرق الكثيري[٤٤]

هو بدر بن عبد الله بن علي بن عمر الكثيري، وكنيته المحليـة «بوطـويرق». وهو أشهر سلاطين آل كثير على الإطلاق. ولد سنة ٩٠٥هـ (١٤٩٦م) أي بعد أن احتل جده جعفر الشحر بعام واحد.

وكان أخوه محمد (هو جد الأمراء آل عبد الودود حلاّن الريدة الـشرقية التـي كانت تُسمى ريدة آل عبد الودود بالمِشقاص) قد تولى السلطنة بعد أبيه عبد الله سنة ٩١٠ هـ (١٥٠٤ م). لكن طموح أخيه بدر لم يترك له مجالًا للتحرك. فما أن وافت سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢٠ م) حتـى كـان بوطـويرق الحكـم الفعلـي لحضرموت، وبقي أخوه محمد حاكمًا على ظفار. لكن أبا طويرق انتزع ظفار من أخيه سنة ٩٤٧ هـ (١٥٤٠ م) واستقل بأمر الدولة الكثيرية كلها بعد أن جعل أخاه محمدًا حاكمًا على مدينة الشحر.

وفي عهد أبي طويرق هاجم البرتغاليون مدينة الشحر ٩٢٩ هـ (١٥٢٢ م) في سلسلة غاراتهم الانتقامية الموجهة ضد الحامي والشحر وعدن.

وكانت لأبي طويرق علاقات ودية مع الدولة التركية التي عبَّرت عن صداقتها له بأن أرسلت له ثلة من الجنود الأتراك إلى الشحر لمساعدته تحت قيـادة رجـب التركي. <٨٤>

ورغم إصلاحات اجتماعية لها شأن أقامها أبو طويرق في عهده، فقد كان ميالًـا لفتح أبواب الفتن بينه وبين رؤساء المقاطعات الحضرمية حتى المسالمين منهم. لذلك كانت المشاحنات الدموية مشتعلة بينه والحضارم طيلة أيام حكمه.

وكان موقفه من أعيان الحضارم وبعض الزعماء الدينيين - كالشيخ معروف بن عبد الله باجمال والشيخ عمر بن عبد الله بامخرمة - موقفًـا اتـسم بالتعـسف

---

(٤٣) راجع كتابنا (الشهداء السبعة).

(٤٤) كلمة طويرق تصغير طارق وهو الشخص الذي يجوب طرقات الأرض. وكان ذلك شأن بدر في غزواته ضد <١٢٤> رؤساء المقاطعات الحضرمية. فكنّاه الحضارم (بوطويرق) تهكمًا به.

وقصر النظر، الأمر الذي أفسد علاقاته حتى بأفراد اسرته الذين ضاقوا ذرعًــا، في النهاية، بتصرفاته الهوجاء فخلعوه عن الحكم وألقوا به في ســجن ســيئون حيث مات سنة ٩٧٧ هــ (١٥٦٩ م).

الشـهـداء السـبـعة والـغـزو الـبرتـغـالي

من أبرز معلم التاريخ الوطني بحضرموت تلك المقاومة الباسلة التي أبداها أهل الشحر العُزْل من السلاح في وجه الحملة الانتقامية التي شنها البرتغاليون على مدينتهم.

بعد أن انهزم البرتغاليون المستعمرون أمام الأمير مرجان الظافري في عدن سنة ٩٢٣ هــ (١٥١٧ م) أدركوا أن الشحر هي إحدى الروافد الرئيسية التي تمــد عدن بجانب من قوتها ومنعتها.

وبما أن البرتغاليين رغم هزيمتهم أمام الأمير مرجان ظلوا طامعين في الاستيلاء على عدن، فقد قرروا أن يدمروا، أولًا إمكانيات الشحر المادية والبشرية حتى لا تتمكن في المستقبل من تقديم أي عون مادي لعدن وذلك لكي تصبح عدن سهلة السقوط في أيديهم.

فوصل من الهند البرتغالية إلى الشحر صباح يوم الخميس التاسع من شهر ربيع الأول سنة ٩٢٩ هــ (١٥٢٣ م) أسطول <٨٥> برتغالي مكون من ثماني سفن حربية واتصل قائده البرتغالي (لويز دي متريس) بحاكم الشحر الأمير مطران بن منصور مطالبًا السلطان بدر الكثيري (بوطويرق) بممتلكات شخص برتغالي زعم أنه مات بالشحر وأن السلطان المذكور استولى علــى تركتــه. وطلــب القائــد البرتغالي تسليم المتوفى إليه في الحال وإلا فإنه سوف يأخذها بالقوة. وكان هذا الطلب سببًا مفتعلًا لغزو الشحر.. فنفى الأمير مطران علمه بالشخص المتــوفى وبتركته وأخبر القائد أن السلطان بدرًا في حضرموت الداخل وأنه سوف يعــود إلى الشحر بعد أيام قليلة وأنه سوف يعرض الأمر عليه. فأصر القائد على تلبية طلبه فاتضح للأمير مطران ولأهل الشحر أن البرتغاليين يبيتون أمرًا لهم. فجمع الأمير مطران أعيان البلدة وتدارسوا الأمر بينهم، وكان من جملة ما قرروه، أن استعدوا لمنازلة البرتغاليين مهما كلفهم الأمر، وبعثوا برسالة مستعجلة للسلطان

بدر أحاطوه فيها علمًا بالموقف، كما وجهوا رسالة أُخرى إلى الأمير عطيف بن علي بن دَحْدَحْ، قائد منطقة المشقاص، بطلب النجدة العسكرية السريعة لأن حامية الشحر كانت قد ذهبت إلى حضرموت الداخل بصحبة السلطان بدر ولم يبق من الجند بالشحر إلا بعض المسنِّين حرّاسا على بعض المؤسسات الرسمية.

وفي بكرة يوم الجمعة العاشر من شهر ربيع الأول سنة ٩٢٩ هـ (١٥٢٣ م) نزل إلى الشحر سبعمائة من المقاتلين البرتغاليين والهنود ومعهم كل ما استطاعوا توفيره لأنفسهم من آلات التدمير والقتل، وإبتدأوا يطلقون النار على كل من يصادفونه، ويضرمون النار في المنازل والمستودعات والأكواخ، <٨٥> وامتدت أيديهم بالنهب في المحلات التجارية.

ودارت معارك في الشحر ثلاثة أيام متوالية استشهد فيها المئات من ابناء الشحر وأُحرقت مئات المنازل والأكواخ.

وكان قادة المقاومة سبعة أشخاص هم:

الفقيه العلاّمة الشيخ يعقوب بن صالح الحُرَيْضِي.

الفقيه الشيخ أحمد بن عبد الله بَلْحَاج بافضل.

الشيخ سالم بن صالح باعُوَين.

الشيخ حسين بن عبدالله الجُمْحِي (الملقب بالعيدروس).

الشيخ أحمد بن رضوان بافضل.

الشيخ فضل بن رضوان بافضل.

الأمير مطران بن منصور حاكم مدينة الشحر.

وقد استشهد هؤلاء السبعة في معارك «الأيام الثلاثة»، ودُفن ستة منهم في قبر واحد بالشحر يُعرف إلى اليوم باسم (قبر السبعة). أما الشهيد السابع فهو الشيخ أحمد بن عبدالله بافضل فقد دُفن في قُبة والده الشيخ الفقيه عبد الله بلحاج بافضل.

وفي صباح ثالث أيام المعركة (أي الأحد الثاني عشر من ربيع الأول) جاء جيش من المقشاط بقيادة عطيف بن دحدح لنجدة أهل الشحر فلاذ البرتغاليون بالفرار في سفنهم.

فكانت هذه المعركة أول مقاومة تهب في وجه الأطماع الاستعمارية الأوربية في اليمن أو ربما في العالم العربي بأسره عام ١٥٢٣م.

وظلّت ذكرى هذه البطولة الوطنية نبراسا يُضيء سُبل الفداء <٨٧> والشرف والكرامة عبر صفحات التاريخ الحضرمي.

وقد أراد الله أن تسير الحوادث على غير ما أراد البرتغاليون المعتدون فلم يتمكنوا من الاستيلاء على عدن بعد هذه الحادثة.

الدولة الكثيرية بعد أبي طويرق

انقسم سلاطين آل كثير على أنفسهم بعد وفاة أبي طويرق ودخلوا في تطاحن لا نهاية له على السلطة، حتى كان عام ١٠٢٤هـ (١٦١٥م) عندما استولى على السلطة بدر بن عمر بن بدر أبي طويرق. فاستعان هذا الأمير بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم.

فأشاع عنه منافسوه أنه اعتنق المذهب الزيدي فأدّت هذه الإشاعة إلى انقسام الناس بين مؤيد له ومؤيد لابن أخيه السلطان بدر بن عبد الله بن عمر ابن بدر أبي طويرق، وإلى السلطان عبد الله بن عمر هذا تُنسب (دولة آل عبد الله) وهي الدولة الكثيرية الثانية التي سوف نتحدث عنها في فصل قادم.

وفي سنة ١٠٧٠ هـ (١٦٥٩ م) تدخل إمام اليمن بجيش جرار تحت قيادة القاضي الصفي أحمد بن حسين الحيمي لنصرة السلطان بدر بن عمر ضد مناوئه ابن أخيه بدر بن عبد الله.

وكانت النتيجة، في آخر الأمر، أن تلاشت سلطة سلاطين آل كثير جميعهم، وأصبح الأمر والنهي في حضرموت لزعماء الجيش الإمامي الذين أرغموا أئمة المساجد أن يزيدوا في الأذان جملة «حي على خير العمل» فامتثل بعض الأئمة ورفض الآخرون[٤٥].

---

(٤٥) من الذين رفضوا عبد الله بن عمر بارضوان بافضل المؤذن في مسجد باعلوي بتريم.

وفي سنة ١١١٣هـ (١٧٠١م) على عهد السلطان بدر بن محمد المعروف انقسم الزيود ويافع (جُند الجيش الأمامي)، وعمت <٨٨> البلاد موجات من الجور والاقتتال بين الزيود ويافع ومن كان في صف كل جانب منهما.

وفي سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) ذهب السلطان بدر إلى يافع، وبتأييد من العلويين لاستقدام مجندين يافعيين (لإنقاذ من بها من أهل السنة)[٤٦] وعاد بستة آلاف مقاتل وطرد الزيود من حضرموت.

لكن يافع ما لبثوا أن استبدوا بالأمر، واستولوا على أملاك الدولة الكثيرية واقتسموها بين عشائرهم. فصارت (سيئون) لآل الضبي و(تريم) لآل اللبُعوس و(تريس) لآل (النقيب) و(شبام) للموسطة... واستقلت قبائل آل تميم بالسلطة في قراهم، ووضعوا أيدهم في أيدي يافع ضد البقية الباقية من الأمراء الكثيريين، إذ لم ينس آل تميم أن آل كثير هم الذين قوضوا دولتهم - دولة آل يماني - بني ضنة.

وأخذت الدولة الكثيرية تترنح تحت هذه الضربات المتلاحقة، ثم انكفأت على نفسها لتلفظ أنفاسها الأخيرة رغم محاولات بذلها بعض سلاطين آل كثير لبث الحياة في جسمها المتداعي.

وانتهت الدولة الكثيرية الأولى في بداية النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (١٧٣٨ م) على عهد السلطان جعفر بن عمر بن جعفر الكثيري.

وكان آل كثير قد فقدوا ظفار سنة ١١٣٥هـ (١٧٢٢م).

حكم الطوائف اليافعية بساحل حضرموت

بعد أن تضعضع حال الدولة الكثيرية الأولى، استولت كل <٨٩> حامية كثيرية، (وكانت مؤلفة بصورة رئيسية من الجند اليافعيين) متمركزة في ساحل حضرموت، على السلطة في المكان الذي كانت متمركزة فيه وانفردت بالحكم فيه.

---

(٤٦) هدية الزمن لأحمد فضل العبدلي.

وكانت تلك الحاميات اليافعية تُعرف بـ (المكاتب السبعة)، ويُقصد بالمكتب (الحامية) وهي:

١ـ مكتب آل كساد في قريتي الدبس والحامي ويرجع آل كساد وآل بريك بنسبهم إلى ذي ناحب اليافعيين.

٢ـ مكتب آل النشادي في قرية عَرَف.

٣ـ مكتب آل بريك في حصن خِرِد وفي القسم الشرقي من مدينة الشحر المعروف بـ «رباط بن جَوبَان».

٤ـ مكتب آل البطاطي في حارة الرّحلة في مدينة الشحر.

٥ـ مكتب ابن عاطف جابر في حارة الجُزَيِّرة في مدينة الشحر.

٦ـ مكتب ابن معوضة في حارة الخور من مدينة الشحر وفي منطقة حرير الواقعة غربي الشحر.

٧ـ مكتب آل الشيخ علي بن هرهره في قرية تبالة.

وبعد زوال حكم السلطان بدر بن عمر الكثيري استأثرت هذه الطوائف اليافعية بحكم المناطق التي كانت تحميها، على أن بعض هذه (المكاتب) كان يُظهر ولاءً آل كثير الذين تعاقبوا على حكم الساحل الحضرمي أملًا منهم في إحياء الأمجاد الكثيرية الماضية. <٩٠>

إمارة آل بريك:

وفي عام ١٠٨١هـ (١٦٧٠م) أصبح (مكتب) آل بريك قوة نامية طغت على بقية (المكاتب) اليافعية الموجودة بالشحر وأخضعتها لسيطرتها.

وفي سنة ١١٢٩هـ (١٧١٦م) استولى السلطان جعفر بن عمر بن بدر الكثيري على الشحر فارعن له آل بريك بالشحر لكن مُلك السلطان جعفر هذا ما لبث أن تدهور، وهنا أعلن آل بريك إمارتهم بالشحر سنة ١١٦٥ هـ (١٧١٥ م).

وكانت الأسرة البريكية الأقوى تمكُن بين الأسر البريكية المتعددة، أسرة الشيخ عمر بن عبد الرب بن بريك متمثلة في أبنائه السبعة وهم: ناجي، وسعيد، وعبود، ومرعي، وأحمد، وجابر، وشيخان. ومن هنا كان أول حاكم بريكي على

الشحر ونواحيها الأمير ناجي ابن عمر بن عبد الرب بن بريك وذلك سنة ١١٦٥هـ (١٧١٥م).

إمارة آل كساد:

وفي قريتي الديس والحامي قام آل كساد يشيدوا لهم إمارة. وكان الكساديون مكونين من أسرتين: إحداهما أسرة النقيب حسن بن صلاح الكسادي وكان مقرها قرية الديس، والثانية أسرة النقيب أحمد بن علي الكسادي وكان مقرها قرية الحامي.

ومن الكساديين حلان الديس برز سالم بن صلاح كربّان سفينة شراعية، وكان يتردد للتجارة على ميناء المكلا، ثم طابت له الإقامة بها فجعلها مستقَرّهُ وكان محبوبًا بين الناس وجاء بعده ابنه أحمد <٩١> فأنشأ الإمارة الكسادية بالمكلا سنة ١١١٥ هـ (١٧٠٢ م) وهي أول إمارة يافعية تقام في حضرموت.

غزو الوهابيين لوادي حضرموت

الوهابيون هم أتباع الداعية الإسلامي الشهير محمد بن عبد الوهاب النجدي، وقد تأسس هذا المذهب في أواسط القرن الثامن عشر الميلادي، في حوالي ١٢٢١ هـ (١٨٠٦ م) على عهد السلطان الكثيري جعفر علي بن عمر بن بدر (منطقة الحضارم أمبدر)، جاء الوهابيون عن طريق العبر إلى وادي حضرموت في حملة استطلاعية عسكرية، ثم عادوا أدراجهم إلى نجران.

وفي سنة ١٢٢٤ هـ (١٨٠٩ م) جاء الوهابيون للمرة الثانية غُزاة لحضرموت، وفي هذه المرة ناصرتهم جماعات كبيرة حضرمية من قبائل نهد ويافع والنفر الناقمين على الخرافات الصوفية في حضرموت.

وتُعرف هذه الحملة العسكرية بحملة (ابن قملا) وهو أحد رؤساء قبيلة دهم اليمانية، وكان مرشدًا للجيش الوهابي في توجيهه إلى حضرموت، كان ذلك على عهد السلطان الكثيري علي بن عمر بن جعفر بن بدر.

وبما أن عقائد الوهابيين تستنكر ما تعوَّد عليه بعض الحضارم من التبرك بقبور الموتى، وإقامة القِباب عليها، وتقديم النذور، وإقامة الزيارات لها، فقد هدم الوهابيون كل قِباب القبور الموجودة في تريم، وأحرقوا بعض الكتب المتداولة

في الأوساط الصوفية في مدينة تريم، إذ أن الوهابيين يعتقــدون أنهــا مخالفــة لعقيدة التوحيد الإسلامية، <٩٢> وخاصة تلك الكتب المليئة بحكايات الكرامــات المنسوبة إلى بعض العلويين والمشائخ المعتَقَد فيهم عند الحضارم.

ومنع الوهابيون قراءة الرواتب وإقامة الحضرات والزيارات للقبور، وقد مكثــوا في وادي حضرموت زُهاء أربعين يومًا، ويذكر بعض المؤرخين أن فرقــة مــن الجيش الوهابي توجهت إلى الشحر لَمّا بلغهم عن أن بالشحر من الخرافات التي يلصقها بعضهم بالدين ما يشابه ما كان موجودًا في تريم، وأقامت هذه الفِرقــة العسكرية معسكرًا لها في منطقة الخور، ولكنهم - كما يقال - لم يهدموا شــيئًا من القباب في الشحر، وكان ذلك على عهد السلاطين آل بريك.

ثم عاد الوهابيون إلى نجران مارين بالعبر، والوهابيون هم الذين حفــروا بئــر عساكر المشهورة في الأطراف الشرقية لرملة السبعتين، وهــم الــذين مهــدوا الطريق المعروفة بدرب الأمير (قائد الجيش الوهابي) الواقعة في منطقتي الصيعر ودُهُم في أطراف الصحراء. <٩٣>

الغزو العثماني:

في عام ٩٤٥ هــ (١٥٣٨ م) كانت الإمبراطوريّة العثمانية قد بلغت الذروة في القوة والنفوذ الواسع، وكان قد خضع لها الكثير من أقطــار الــشرق الأوســط وأفريقيا وبعض البلدان في شرق أُوروبا، وكانت اليمن إحدى أُمنيات الــسلاطين الأتراك لأهميتها من الناحية العسكرية وموقعها الاســتراتيجي المهــيمن علــى شواطئ البحرين العربي والأحمر بحيث يُمَكن الأتراك من غزو منطقــة الــشرق الأقصى بما فيها (الهند).

كان الاحتلال التركي لليمن يمثل ثلاث مراحل:

الأولى: غزو الأتراك لليمن سنة ١٥٣٨ م وقد قاومتها قوات الإمام شرف الدين ثم ابنه المطَهَر، وانهزم الأتراك سنة ١٥٦٨ م، ولم يبق منهم إلا نقطة ارتكــاز واحدة في زبيد.

وعاد الأتراك ليحتلوا اليمن سنة ٩٧٦ هـ (١٥٦٩ م) وأنزلوا قواتهم في زبيد، وبعد مقاومة دامية بقيادة الأئمة انهزموا عام ١٠٤٥هـ (١٦٣٦م) وبذلك انتهت المرحلة الثانية.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر حاول الأتراك إقامة مركز نفوذ لهم في الساحل الحضرمي وخاصة في الشحر وشرمة بوساطة آل كثير ومساعي بعض العلويين ولكن قوة يافع المتحدة (آل كساد وآل بريك) أنزلوا الهزيمة بالقوة البحرية التي أرسلها إلى الساحل الحضرمي.

وبعد أن احتل الإنجليز عدن في ١٨٣٩ م عاد الأتراك فاحتلوا اليمن سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩م) ولكن الصراعات استمرت <٩٤> معهم داخل اليمن وإشتدت مقاومة اليمنيين لهم بقيادة الأئمة حتى كانت هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ م، وكانت هذه آخر هزيمة للأتراك في اليمن.

***

دولة آل عبد الله (أو) الدولة الكثيرية الثانية

آل عيسى بن بدر:

بعد مضي فترة من الزمن انزوى فيها آل كثير في وادي تارِبة كأفراد عاديين بعد أن فقدوا دولتهم التي كانت أعظم دولة قامت في حضرموت وأطولها أمدًا، استطاع السلطان جعفر بن علي بن عمر الكثيري بعد عودته إلى حضرموت من إندونيسيا طرد يافع الموسطة من شبام والاستيلاء عليها، كان ذلك سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م).

لكن آل كثير ما لبثوا أن تنازعوا السلطة فيما بينهم في شبام إلى أن انتهى الأمر بهذه المدينة العريقة الصابرة إلى السقوط سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م) في يد آل عيسى بن بدر (ينطقها الحضارم عيسى آمبدر) آل كثير، وكان أول سلاطينها عمر بن جعفر بن عيسى بن بدر الكثيري. وتُوفي السلطان هذا سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٨م) فتولى أمر شبام بعده ابنه منصور بن عمر الذي كان بطشه واستفزازه ليافع[٤٧]، أحد اسباب قيام الدولة القعيطية.

وفي سنة ١٢٤٩هـ (١٨٣٣م) شن يافع الموسطة حملة على شبام واحتلوا نصفها ثم قام الصلح بينهم وبين حاكمها الكثيري السلطان منصور بن عمر، وهدأت الحالة بعض الشيء. <٩٥> وفي سنة ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) هجم آل كثير على تريس واستولوا عليها وكان بها ابن النقيب السعيد اليافعي، فطرده منها.

آل عبد اللّه:

وفي سنة ١٢١٦ هـ (١٨٤٥ م) ظهر السلطان غالب بن محسن الكثيري على المسرح السياسي الحضرمي، فاشترى قرية الغرف من آل تميم فكانت هذه القرية نواة دول آل عبدالله. وكان مولد غالب بن محسن سنة ١٢٢٣ هـ

---

(٤٧) من ذلك نسفه دار بن معمر الخلاقي على سكانه، وكان من بينهم عمات عمر بن عوض القعيطي بالقطن،ومحاصرته أخواله آل علي جابر بخشامر، ومحاولته اغتيال عوض بن عمر القعيطي، بأن وضع كيس بارود تحت البساط الذي أقام عليه وليمة له، ولكنه لم يحضر.

(١٨٠٨ م). وفي سنتي ٤/ ٥ ١١٢٦هـ (١٨٤٨/٧م) استطاع غالب بن محسن القضاء على السلطة اليافعية في مدينتي تريم وسيئون.

وفي سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦م) طرد آل كثير الأمير علي بن ناجي الثاني من الشحر واحتلوها وأنهوا بهذا الاحتلال الإمارة البريكية.

وفي السنة نفسها حاول آل كثير الاستيلاء على المكلا وإنهاء دولة الكسادي بها ولكنهم فشلوا.

وفي السنة نفسها أيضًا استطاع التحالف الكسادي / القعيطي انتزاع الشحر من آل كثير، وبذلك أصبحت الشحر جزءًا من أملاك القعيطي كما اتفق على ذلك مسبقًا بين الكسادي والقعيطي وفي سنة ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) حاول آل كثير استعادة الشحر من القعيطي ولكنهم فشلوا.

وفي سنة ١٢٨٥هـ (١٨٦٨م) حاول القعيطي والكسادي القضاء على دولة آل عبد الله في تريم وسيئون ونواحيها ولكنهم فشلوا. ومات السلطان غالب بن محسن سنة ١٢٨٧هـ <٩٦> (١٨٧٠م).

وفي سنة ١٣٣٦هـ(١٩١٨م) خضعت الدولة الكثيرية، في عهد السلطان منصور بن غالب، لمعاهدة الحماية البريطانية التي كان قد أبرمها الإنجليز مع القعيطي سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م).

وفي سنة ١٣٥٨هـ(١٩٣٩م)، في عهد السلطان جعفر بن منصور أبرم آل كثير معاهدة الاستشارة مع الإنجليز.

وفي أكتوبر سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٧ م) انتهت الدولة الكثيرية بالانتفاضة المحلية التي سبقت استقلال الجنوب اليمني كله في نهاية نوفمبر سنة (١٩٦٧م) ١٣٨٧هـ، وكان آخر سلاطينها حسين بن علي بن منصور الكثيري.

الدولة القعيطية:

نشأت هذه الدولة بشراء عمر بن عوض القعيطي قرية (الريضة) بالقطن من آل العيدروس سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م).

وفي سنة ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) اشترى القعيطي نصف مدينة شبام من حاكمها السلطان منصور بن عمر الكثيري.

وفي السنة نفسها قتل القعيطيون السلطان منصور في شبام[٤٨] وأصبحت المدينة خالصة لآل القعيطي.

وفي سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) تُوفي عمر بن عوض القعيطي مؤسس الدولة القعيطية وخلفه على الحكم ابناؤه الخمسة محمد وصالح وعبدالله وعوض وعلي، وكان عوض أبرزهم.

وفي سنة ١٢٨٣ هـ (١٨٦٦ م) آلَ حُكمُ الشحر إلى القعيطي على إثر الحملة المشتركة التي شنها آل القعيطي بمساندة <٩٧> النقيب صلاح بن محمد الكسادي حاكم المكلا. وفي سنة ١٢٩٩هـ (١٨٨١م) استولى القعيطي على المكلا وبروم وبذلك تم القضاء على الإمارة الكسادية بمساعدة الإنجليز في عهد الأمير عمر بن صلاح الكسادي، وأُبرمت بين القعيطي والإنجليز معاهدة صداقة سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م).

وفي سنة ١٣٠٦هـ (١٨٨٨م) دخل القعيطي تحت الحماية البريطانية.

وفي سنة ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) أبرم السلطان صالح بن غالب القعيطي معاهدة الاستشارة مع الإنجليز.

وفي سبتمبر ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) انتهت الدولة القعيطية بالانتفاضة المحلية التي سبقت الجنوب اليمني كله في نهاية نوفمبر ١٩٦٧/١١/٣٠م - ١٣٨٧/٨/٢٨هـ. وكان آخر سلاطينها غالب بن عوض بن صالح القعيطي.

دولة آل العمودي:

تميزت هذه الدولة، دون أية دولة أُخرى قامت في حضرموت بأنها قامت بالجمع بين السلطتين الروحية والزمنية.

وُلد الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، الذي ينتسب إليه المشائخ آل العمودي سنة ٦٠٠هـ (١٢٠٣م) في مدينة (قيدون) بدوعن. وكان أُميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، ولكنه كان ذكي الفؤاد وقد وهبه الله القدرة على الرياضة وسلوك طريق الصوفية. وقد استطاع هذا الأُميُّ، بفضل قوة شخصيته أن يخلق له مكانة

---

(٤٨) دعاه أحد أتباع عوض بن عمر القعيطي إلى وليمة غداء وعندما قدم إليها مع أعوانه أمسك بيده سالم بن علي بن هرهرة مصافحًا وأجهز عليه يافع فقتلوه هو ومعيته من آل عيسى بدر.

مرموقة بين رجال الدين والتصوف في عصره، وأن يجمع حوله <٩٨> الأنصار والمريدين، وأن يصبح أحد مشاهير الدعاة إلى الله بين البادية والحضر، وأن يؤسس له في دوعن نفوذًا روحيًّا تطور على مدى الزمن حتى أصبح نفوذًا سياسيًّا لعب دورًا هامًّا في تاريخ حضرموت «عمود الدين».

وتُوفي الشيخ سعيد بن عيسى بقيدون سنة ٦٧١هـ (١٢٧٢م) ودُفن بها. وقد خلف من بعده ابنه محمد فثبّتَ مقام أبيه في نفوس الناس. وتوارث هذا المنصب أولاده وأحفاده، والتف حولهم رؤساء القبائل وكثير من حملة السلاح. وقد بلغت درجة النفوذ الروحي عند آل العمودي حدًّا جعلهم بفضلها لا يشعرون بالولاء والطاعة لأية سلطة سياسية في البلاد. ولهذا فكروا في الاستقلال السياسي وبسط نفوذهم المادي إلى جانب نفوذهم الروحي.

ثم آلت السلطة إلى الشيخ عبد الله بن عثمان بن سعيد العمودي، وكان أول من استعمل نفوذه السياسي، فاستولى على بلدة الخريبة في دوعن سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م).

وخلفه الشيخ عثمان بن أحمد العمودي في النصف الأول من القرن العاشر الهجري. وقد عاصر الشيخ عثمان السلطان بدر أبا طويرق الكثيري ونشأت بين هاتين الشخصيتين خصومة ولّدتها القوة الذاتية الكامنة في كل منهما.

وقد تسلح آل العمودي «بالبنادق» ربما قبل الوقت الذي تسلح به جنود أبي طويرق. لذلك كان العمودي ينازل أبا طويرق على قدم المساواة في السلاح. وعندما عقد أبو طويرق علاقات <٩٩> ودية مع الأتراك، أعلن العمودي عدم موافقته على تصرفات بدر وانحاز إلى إمام الزيدية في اليمن وكوّن في اليمن جبهة سياسية معارضة لسياسة أبي طويرق.

وفي الوقت الذي كان أبو طويرق يتودد فيه إلى البرتغاليين ويسكت على قرصنتهم ضد السفن الحضرمية في أعالي البحار، كان العمودي ينادي بالجهاد ضد البرتغاليين المعتدين.

وإمعانًا في إحراج أبي طويرق وإظهاره بمظهر السلطان المتخاذل الممالئ للإفرنج القراصنة، شن العمودي سنة ٩٣٨هـ (١٥٣١م) غارة على بلدة

(تبالة) بالشحر، وكان تجار الشحر يخزنــون بهــا أمــوالهم خيفــة مهاجمــة البرتغاليين الشحر وعدم قدرة أبي طويرق على الدفاع عنهم وعــن أمــوالهم، ونهب العمودي تلك الأموال. ثم استولى على وادي دوعن (الأيمن) ثم على وادي دوعن (الأيسر) وكانا تابعين لأبي طويرق.

وكان رد الفعل من قِبَل أبي طويرق أن هــاجم مدينــة آل العمــودي المقدســة (قيدون)، التي بها قبر الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، ونهبها وهــدَّم خــزان المياه الذي بها وأذاق جند أهلها صنوفًا من التعذيب والعسف. وتحــت إغــراء المال انحاز رئيس جند العمودي إلى أبي طويرق. وقد حاول أبــو طــويرق أن يحيل (قيدون) إلى قرية صغيرة حيث أنه أمر تجارها وأعيانهــا بالانتقــال إلــى المدن المجاورة. وفي سنة ٩٤٩هـــ (١٥٤٢م) هاجم أبو طويرق مدينة (بُضة) مقر السلطة العمودية، ولكنه لم يستطع التغلب عليها.

وفي سنة ٩٥٥هـــ (١٥٤٨م) حاصر أبو طويرق (بُضة) للمرة الثانية بجــيش تحت قيادة الأمير يوسف التركي والأمير علي بن <١٠٠> عمر الكثيري. وأخذ الكثيريون يرمون (بُضة) بالمدافع.. لكن هذا الحصار انحصر عن (بُضة) بسبب انتفاضات قامت ضد أبي طويرق في مناطق أخرى مــن ســلطنته الحــضرمية. وبمساندة القبيلة النهدية هاجم العمودي (شبوة) التي كانت مــن أمــلاك أبــي طويرق وقد حاول الأمير علي بن عمر الكثيري - عامل بدر في شــبوة - فــك الحصار فلم يفلح، فدخل جنود العمودي شبوة ونهبوا ما كان بها من أموال.

وفي سنة ٩٥٦هـــ (١٥٤٩م) عقد السلطان بدر صلحًا مع العمــودي بعــد أن باءت بالفشل محاولاته للقضاء على سلطة العمودي. وقد دام هذا الصلح إلى أن ألقى ابناء أبي طويرق القبض على أبيهم والزج به في السجن.

وفي أجواء سنة ١٠١٤هـــ (١٦٠٥م) شبت الفتنة من جديد بين آل كثيــر وآل العمودي. وظل آل العمودي موالين لأئمة اليمن مدة حكمهم السياسي في دوعن، ففي سنة ١٠٧٠هـــ (١٦٥٩م) عقد الإمام في صنعاء ولاية رسمية للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي، بناء على طلب الأخير.

ولما غزا الزيود حضرموت في العام نفسه، بقيادة الصفي أحمد بن حسن الحيمي، في عهد الإمام المتوكل إسماعيل بن القاسم، قدّمَ الشيخ عبدالله العمودي، بوساطة ابنه محمد، المواد الغذائية ووسائل النقل من جِمال وحمير للجيش الزيدي الزاحف على آل كثير.

ودارت الأيام دورتها، وقد توسعت شُقة الخلاف بين رؤساء آل العمودي في أواخر القرن الثاني عشر الهجري (١٧٨٤م).

وقد أدى هذا التناحر فيما بينهم إلى لجوء بعضهم إلى الكسادي <١٠١> أمير المكلا مستنصرًا به على منافسيه من ابناء عمومته، فأرسل الكسادي سنة ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) جنودًا بقيادة مَجْحِمْ بن علي الكسادي فاستولى على أكثر وادي دوعن الأيمن.

لكن آل العمودي، بعد أن تضايقوا من تصرفات جنود الكسادي عادوا فتضامنوا للتخلص من هذا الاحتلال ودارت بينهم وبين الكسادي معارك انتهت بجلاء الكسادي عن دوعن.

والممتع في الأمر أن آل كثير أعداء العمودي القدامى وقفوا إلى جانبهم ضد الكسادي اليافعي، نصيرهم بالأمس، كما وقف إلى جانبهم خصم جديد للكسادي هو القعيطي اليافعي.. والأيام تلد العجائب!!

لكن التطاحن بين آل العمودي ظل مشتعلًا، وقد اكتوى به سكان الوادي العُزل من السلاح فالتجأوا إلى القعيطي وطالبوه بإنقاذهم.

فاستقدم القعيطي إلى المكلا الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الكريم العمودي أحد رؤساء آل مطهر، وإتفق معه على أن تكون السلطة القعيطية هي المسئولة الأولى في منطقته عن الأمن وقرر له مرتبًا شهريًا على أن ينحصر نفوذ العمودي في داخل منطقته. فكان ذلك بداية التدخل القعيطي وبداية النهاية لحكم آل العمودي.

لكن الشيخ عبد الرحمن ظل مرهقًا الرعايا بالضرائب الفادحة لإشباع حاجته إلى المال الذي يقدمه وقودًا للفتن والدسائس ضد الرؤساء والآخرين من آل العمودي.

فاضطر القعيطي إلى حرب الشيخ عبد الرحمن، ففر العمودي إلى جهة الوديان الغربية (القِبلَة) حيث جمع عسكرًا من البادية <١٠٢> وهاجم بلدة الخريبة واستولى عليها وأكثرَ من النهب والسلب في الوادي.

فهاجمه القعيطي مرة أخرى، مستعينًا بقبائل الوادي، وانتهى الأمر بهزيمة العمودي سنة ١٣١٧هـ (١٨٩٩م). واحتل القعيطي الخريبة والقرى التي كانت تحت نفوذ (ابن عبد الكريم العمودي).

واسند القعيطي حكم وادي دوعن (أيمنه وأيسره) إلى المقدم عمر بن أحمد باصرة الخامعي السّيباني الذي قدّمَ للجيش القعيطي مساعدة فعالة في حربه ضد العمودي.

دولة نهد:

كانت قبيلة (خيثمة) أشهر قبائل (نهد) وأكثرها عددًا وأصعبها مِراسا، وهي التي كانت تتراس الحركات التي تقوم بها القبائل المنسوبة حقيقة واسما إلى النهد.

وفي القديم، كانت القبائل الوافدة من اليمن أو من عُمَان إلى حضرموت يقال لها (نهد) وذلك لانطواء تلك القبائل، النازحة عن أوطانها، تحت لواء (خيثمة). وفي القرن السابع الهجري (حوالي ١٢٥٢م) آلت رعاية خيثمة إلى عامر بن شمَّاخ، وأخيه فضالة بن شماخ، وابنه عمر بن عامر بن شماخ، وعمر هذا هو جد آل عامر المعروفين منذ ذلك العهد إلى اليوم.

أما فضالة بن شماخ فهو أبو عامر بن فضالة بن شماخ جَد آل عبد الله وآل بِشر المُتَوَفىَّ سنة ٦٨١هـ (١٢٨٢م) ببلدة عمد وقبره بها معروف.

وفي سنة ٦٣٦هـ (١٢٣٨م) تجمعت خيثمة ومن تبعها من <١٠٣> نهد تحت رئيسها عامر بن شماخ المذكور فاجتاحت حضرموت واستولت على شبام وسيئون وتريم.

وقد شجع (نهد) على هذا العمل قتلهم عمر بن مهدي اليمني - قائد جيش الأيوبيين - سنة٦٢١هـ (١٢٢٤م)، فكانوا يرون أن دولة آل يماني في شرقي حضرموت ما قامت إلا على كواهلهم.

وعندما احتل الرسوليون جانبًا من حضرموت سنة ٦٣٧هـ (١٢٣٩م) هادنتهم نهد، وبذلك ضمنوا تأييد الرسوليين لهم. لكن (نهد) عادت وانقلبت على الرسوليين عندما أحست بضعفهم وأقامت (دولة نهد) في مناطق حضرموت الغربية جاعلة بلدة (السُّور) قاعدة لها.

وصارت الزعامة على هذه الدولة حينئذ لآل عامر نسل عمر بن عامر بن شماخ بن عبد الله بن عمر الرضواني النهدي. وسُميت بلدة (السور) لذلك (سُور آل عامر).

وعندما بزغ نجم الدولة الكثيرية دخل رجالها في صراع مرير مع (نهد)، وانتزع علي بن عمر جعفر الكثيري مدينة شبام منهم سنة ٨٢٤هـ (١٤٢٤م).

بعد ذلك حصر (نهد) اهتمامهم بمنطقتهم الواقعة غربي حضرموت، وظلوا مسيطرين على مناطق الكسر والهجرين ووادي عمد حتى هاجمهم أبو طويرق سنة ٩٣٧ هـ (١٥٣٠ م) وضم هذه المناطق، وما جاورها غربًا إلى شبوة، إلى الدولة الكثيرية، باستثناء وادي عمد.

وفي سنة ٩٤٧هـ (١٥٤٦م) استولى أبو طويرق على منطقة وادي عمد ونواحيها، وقُتلَ المتولي بها وهو فارس بن عبد الله بن علي <١٠٤> العامري النهدي.

لكن (نهد) لم يهدأ لها بال فراحت تشن الغارضات على المناطق التي يسيطر عليها آل كثير في شرقي وغربي حضرموت.

وبعد وفاة أبي طويرق سنة ٩٧٧هـ (١٥٦٩م) عاد رجال (نهد) وفرضوا سيطرتهم على مناطقهم القديمة في غربي حضرموت وخاصة على منطقة الكسر وبحران. وظل حالهم على ذلك المنوال حتى قيام الدولة القعيطية التي عقدت صلحًا مع (نهد) على أن تكون لها السيطرة الداخلية في شئونهم.

وعندما أبرم القعيطي معاهدة الاستشارة مع الحكومة البريطانية سنة ١٣٥٦هـ (١٩٧٣م) أخضع الإنجليز (نهدًا) للقعيطي فصاروا من جملة رعايا الدولة القعيطية. ومما هو جدير بالذكر فإنه إلى حكام (نهد) يرجع حكام قبائل حضرموت لاستئناف أحكامهم حسب العوائد والسَّوالف العشائرية، كما يرجع إلى

حكام (نهد) القول الفصل في الاختلاف الذي ينشأ بين القبائل الحضرمية حول قضايا (العَيْب).

دولة بن مُقيص:

بالنظر إلى الياس الذي استقر في نفوس الدعاة إلى الإصلاح من تصرفات السلطان اليافعي والكثيري القائمة حينذاك في تريم وسيئون وشبام ونواحيها. وبالنظر إلى اضطرابات الأمن وتفشي الظلم والجور والقتل في وادي حضرموت في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري (١٧٨٦ م). فقد أجمع بعض العلويين، من دعاة الإصلاح، وفي مقدمتهم أحمد بن عمر بن سميط، وعبد الله بن <١٠٥> حسين بن طاهر، وحسن بن صالح البحر الجفري، على محاولة إنشاء دولة تعيد الحق إلى نصابه، وتبث الاطمئنان في النفوس، وتوطّد دعائم الأمن والاستقرار في ربوع الوادي الذي نكب بحكّامه وقبائله.

ووقع اختيار أُولئك العاملين على نصرة الحق، على الشيخ عمر بن عبد الله بن مقيص الأحمدي، أحد سكان قرية (بيْت خُبَيْر) ليكون أميرًا لدولتهم المرجوَّة.

وكان أُولئك العلويون، شأنهم شأن الغريق الذي يتشبث بالقشة رغبة منه في النجاة، فقد رأوا أن ابن مقيص، وجماعته الصغيرة من آل الأحمدي جديرون بالنهوض بمهام الدولة المنتظرة.

فعرضوا الخطوط العريضة للفكرة على ابن مقيص ورهطه فأبدى استعداده للعمل أميرًا يؤيد الشرع الشريف، وأنه سوف يعمل بما يشير عليه أعيان العلويين وعلماؤهم شريطة أن يمدوه بالمال ويُعَضدُوه بنفوذهم.

ثم فكر العلويون في (قاعدة حربية) لهذه الدولة تكون منطلقًا لحركاتها العسكرية، وترسانة لمهام الغزو والفتح، فاشترى العلويون لابن مقيص (حصن مُطَهّر) من آل مُطّهَر اليافعيين، ويقع هذا الحصن في سفح تلّ صغير يُقَال له (حَيد قاسم) جنوب مدينة تريم، ووضعوا فيه مدفعًا باروديًّا توكيدًا منهم لهيبة الدولة المرتقبة، وبعدها فكر العلويون في وزير كفء للأمير المنتظر، فتم الاختيار على عبد الله بن أبي بكر عيديد ليكون وزيرًا ومشيرًا للأمير.

وفي شهر ربيع الثاني سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) أُعلن قيام (دولة ابن مقيص) الفتيّة بقرية (بيت جُبَير) وكأن عناصر الملك <١٠٦> الهامة قد اكتملت لها بنظر بُنَاتها.

وتعثرت الدولة منذ اليوم الأول لقيامها، وحاول القوم جهدهم أن يدفعوا بأميرهم المستجد إلى الأمام، إلى الغزو، إلى الفتح، إلى قهر الظالمين، إلى إيقاف الباطل عند حده، إلى رفع لوء العَدل، إلى، إلى، إلى آخره، ولكن مجهوداتهم ذهبت سُدى.

ولسنا ندري السبب الحقيقي خلف هذا الإحجام الفاضح، ولكن التاريخ يذكر أن هذا التعثر وذلك الإحجام كان سبب (ما حل بقلب الأمير ابن مقيص من التردد والاضطراب وما حل بقلوب قبيلته من التردد والخَوَر)[٤٩].

وانهارت الدولة ولَمَّا تمض على إنشائها سنتان، وتحطمت آمال العلويين. ومن كان يشاطرهم تلك الآمال من الحضارم، في استتباب الأمن ونشر العدل بين الناس على يد ابن مقيص.

وفي هذه الدولة وفي أميرها قال وزيرها السيد عبد الله بن أبي بكر عيديد من قصيدة طويلة:

ولمّا رأيتُ لهاة الهياج ... حسبتك فحلًا وأنت خَصيّ

تبرقع فإنك مثل النساء ... وصُغ لك عَقدين من بُصبُص

لقد هانها الله من دولةٍ ... تربت على الدّجر والحنبص

إلى قوله:

فخلّوا البنادق لأربابها ... وشلوا بديل البنادق عُصي

وقولوا على الله يُنْصِف لنا ... ويرجم أعدائنا بالحَصِي

ومات السيد عيديد، تغمده الله برحمته، ولم تَذكر لنا مصادر التاريخ هل كان يعني ببيتيه الآخرين العلويين بُناة الدولة، أم كان <١٠٧> يعني أميرها ابن مقيص ورجاله! ويبدو أن الشاعر كان ذا روح فُكاهية باسمة تضحك في وجه

---

(٤٩) عبارة محمد بن هاشم مؤلف كتاب (تاريخ الدولة الكثيرية).

المكاره وعندما يرين الفشل على النفوس. لقد كان له، على أي حال، نصيب من (دولة الدّجر والحُنبص) بحكم وزارته لها.

مشروع الدولة العولقية بحضرموت:

في الجيش العربي التبع لنظام حيدر أباد بالهند كانت تتنازع السلطة والنفوذ ثلاث شخصيات هي:

الحاج عمر بن عوض القعيطي وكانت رتبته العسكرية «شَمْشِير المُلك»، وعبدالله بن علي العولقي، وكانت رتبته العسكرية «سيف الدولة»، وغالب بن محسن الكثيري، وكانت رتبته العسكرية «غالب الدولة».

وكانت هذه الشخصيات الثلاث مقرّبة من نظام حيدر أباد، وكان لكل منهم أتباعه وأنصاره في أوساط المهاجرين اليمنيين بالهند، إلا أن القعيطي كان أكثرهم أنصارًا مالًا وأوسعهم نفوذًا.

وكان هؤلاء الثلاثة يمتلكون الإقطاعيات الواسعة في ولاية حيدر أباد، وكان التنافس بينهم شديدًا. وبسبب «الحَسَد»السائد بينهم، كون العولقي والكثيري جبهة ضد القعيطي الذي كان أكثر طموحًا في التسلط والرئاسة من منافسيه، وقد بلغ به التهور درجة جعلته يتطاول حتى على النظام نفسه.

وفي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م)، عندما كان تمرد الجيش الهندي (INDIAN MUTINY) على أشده ضد الإنجليز في الهند، خطَّط القعيطي للقيام بانقلاب عسكري في حيدر أباد ؛ لإسقاط <١٠٨> حكم النظام والاستيلاء على مملكته وإقامة دولة (حضرمية) في الهند، وكادت الخطة أن تنجح لولا أن خبرًا عن المؤامرة القعيطية تسرب إلى خصمه العولقي الذي كشف اسرار الخطة للنظام، وفشلت المؤامرة. وقد أعدم النظام مئات من المتآمرين ولكنه لم يستطع أن ينال القعيطي بسوء نظرًا للعصبيَّة العربية والهندية القوية التي كانت تسنده. وعلى أي حال فإن افتضاح أمر القعيطي على يد العولقي زاد نار الخصومة اشتعالًا بين القعيطي من جهة ومنافسيه العولقي والكثيري من جهة أخرى، وقد فكر الكثيري في الانسحاب من هذه المعركة، وكان يخشى أن يطرده النظام من حيدر أباد ويستولي على إقطاعياته بسبب المؤامرة القعيطية التي جعلت النظام يتوجس

خيفة حتى من أقرب المقربين إليه من الرؤساء الحضارم. وبادر الكثيري وباع جانبًا كبيرًا من إقطاعياته بأثمان بخسة ووظّف الحصيلة في إحياء الدولة الكثيرية، وفي ذلك يقول المعلم عبد الحق ساخرًا من القعيطي والكثيري معًا ومِن تنكر الحضارم لأفضال النظام عليهم قال المعلم من قصيدة طويلة:

ولا سَبَبْ غالِبْ سِوى حِيْلَة عُمَر   خَرَّجَتْهُ من الوُلاية خَالي

أحْوال صَارت مِنَّهم يَخشى الحليم   منها وتضحك منها الجُهالي

ولم تكن هذه الشخصيات الثلاث قائمة بالخدمة العسكرية بحيدر أباد وامتلاك الضياع الواسعة بها في كنف النظام فحسب، بل إن كل واحد من هؤلاء الثلاثة كان يحلم أيضًا بالملك وكان يسعى سعيًا حثيثًا إلى إنشاء دولة له في حضرموت ولسنا نعلم لماذا فكر العولقي في إنشاء دولة له في حضرموت ولم يحاول إقامتها في البلاد <١٠٩> العولقية.

وعندما اشترى الحاج عمر بن عوض القعيطي قرية (الريضة) في القطن سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ م) تمهيدًا لإنشاء الدولة القعيطية، واشترى غالب بن محسن الكثيري قرية (الغُرَف) سنة ١٢٦١ هـ (١٨٤٥ م) تمهيدًا لإحياء الدولة الكثيرية، قام العولقي بشراء قرية (الصَّدّاع) وهي من ضواحي بلدة غيل باوزير، من آل بريك حكام الشحر ونواحيها سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) وأقام بها حصنًا متين البناء عالي الأركان توطئةً منه للاستيلاء على الغيل وإقامة دولته العولقية بها.

ومات الحاج عمر بن عوض القعيطي سنة ١٢٨٢ هـ (١٨٦٥ م) وخلفه أبناؤه الخمسة وعلى رأسهم الجمعدار عوض بن عمر القعيطي وكان هو الآخر ضابطًا كبيرًا بجيش النظام العربي، وكانت رتبته العسكرية به (نَوازْ جنج).

ثم مات عبد الله بن علي العولقي سنة ١٢٨٤ هـ (١٨٦٧ م) وخلفه ابنه محسن الضابط بجيش النظام العربي برتبة (مُقَدّم جنج).

ولم يكن العولقي متسترًا على عدائه للقعيطي، بل إنه كان يجاهره بأنه سوف يعمل لإجلاء يافع عن حضرموت ساحلها وداخلها وكان القعيطي يتوعَّد العولقي بأنه سوف يحطم آماله في الحكم، وأنه سوف يدمر حصنه الكائن بالصَّدّاع

وسيأتي ببعض تراب أنقاضه إلى حيدر أباد لينثره في وجهه. وراح كل جانب يغزل الدسائس والمؤامرات ضد الجانب الآخر. واستطاع العولقي كسب صداقة قبيلة آل عَمَر العُوابثة التي كانت مسلّحة لها شأنها في غيل باوزير. <١١٠>

وعندما جرى النزاع بين النقيب عمر بن صلاح الكسادي والجمعدار عوض بن عمر القعيطي على اتفاقية مناصفة مدينة المكلا، كان محسن العولقي أول من حرَّض الكسادي على نقض هذه الاتفاقية (المفروضة) وأمدّه بستين ألف ريال في السنة ليمكنه من الصمود في وجه الأطماع القعيطية. وقد دخل العولقي في تحالف عسكري مع الكسادي والكثيري لزحزحة القعيطي عن مدينة الشحر. وقد قام هذا التحالف سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) بغزو الشحر ولكن القعيطي هزمهم في وقعة «المِشْرَاف» المشهورة(٥٠).

وابتدأ القعيطي يتحرك بسرعة ضد «المشروع» العولقي. فهو بعد أن وطّدَ نفسه في الشحر راح واحتل (شُحير). ثم داهم غيل باوزير واحتلها بعد أن طرد آل عَمَر با عَمَرْ منها، ثم داهم حصن العولقي بقرية الصّدّاع، ولكن «الحصن» قاوم الهجوم القعيلي فاكتفى القعيلي بضرب حصار حوله دام عدة أشهر اضطرت حامية من رجال العوالق البواسل خلال مدة الحصار إلى أكل الجلود وشرب دماء الحيوان، ثم اُضطرت الحامية إلى التسليم. وعندها نسف الجمعدار عوض حصن العولقي بالبارود وأحاله إلى كوم من التراب كما هو مُشَاهَد اليوم. وأخذ بعض ترابه وحثاه في وجه محسن بن عبد الله العولقي في حيدر أباد.

وتبخرت أحلام العولقي في تكوين دولة عولقية بحضرموت، وكان ذلك سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م)، وبذلك انتهى الوجود العولقي بحضرموت. <١١١>.

***

(٥٠) راجع كتابنا «في سبيل الحكم».

تاريخ ما أهمله التاريخ

دولة آل الأعلم في شبام:

هؤلاء لا ينتمون إلى بني ضنّة. وقد أقاموا دولة لهم في مدينة شبام سنة ٦٠٥ هـ (١٢١٦ م). وتراس هذه الدولة راشد بن الأعلم وخلف راشد على السلطة يماني بن الأعلم. وبعد موته سنة ٦١٣ هـ (١٢١٦ م) تولى الحكم أخوه عبد العزيز بن الأعلم.

وظل عبد العزيز في صراع مع قبائل الوادي المحيطة بشبام حتى زالت سلطته عنها سنة ٦١٦هـ (١٢١٩ م) عندما قَدِمَ جيش الأيوبيين إلى حضرموت بقيادة عمر بن مهدي.

وإمعانًا في الكيد لآل الأعلم، ناصرت قبائل الوادي، وفي مقدمتها (نهد) عمر بن مهدي ضد آل الأعلم، فاحتل بني مهدي شبام.

واستنصر عبد العزيز الأعلم ببعض القبائل أملًا منه في معونتها له ليستعيد ولاية آبائه ولكنها خذلته. وفي سنة ٦١٩ هـ (١٢٢٢ م) قُتِل عبد العزيز بناحية بيجان وانتهت هذه الدولة.

دولة بني سعد في شبام:

بنو سعد قبيلة حضرمية اختلف المؤرخون في نسبتها. فقيل إنها من بني ضنة، وقيل إنها من (نهد) بالانتساب، وقيل إنها من آل قحطان.

وعندما اشتدت الفتن ضد بني يماني في منطقة شبام سلّم بني يماني أمر المدينة لبني سعد سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) فملكوها حتى <١١٢> إنتزعها جيش الرسوليين منهم سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م). ثم استعاد نصار بن جميل العسدي شبام من الرسوليين سنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ م) ونصار السعدي هذا هو الذي بَنَى حصن العذ الواقع جنوبي تريم سنة ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م).

وبقيت شبام تحت حكم بني سعد حتى اشتراها سالم بن إدريس الحبوظي سنة ٦٣٧ هـ (١٢٧٤ م). وبذلك اسدَلَ الستار على تاريخ هذه الدولة.

دولة الأسداس في شبام:

بعد قتل سالم بن إدريس الحبوظي في ظفار تولى على شبام من قِبَل الرسوليين، محمد بن محمد بن ناجي سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ م). وبعد محمد بن محمد ناجي تولى ابنه حسن. وبعد وفاة حسن تولى بعده ابناؤه الستة. وقد سُميت هذه الدولة بـ (دولة الأسداس) لاشتراك أبناء حسن الستة في السيطرة على المدينة، إذ كان لكل واحد منهم سُدُس من أجزاء البلدة ومن إيراداتها يتصرف فيه كما شاء.

وفي سنة ٧٣٤هـ (١٣٣٣م) انتزع آل جميل شبام من آل ناجي، وبذلك انتهت دولة الأسداس.

دولة آل جميل في شبام:

وتسمى هذه الدولة أيضًا (دولة آل حَسَنْ، وآل جَمِيل) وهما قبيلتان من بني سعد السابق ذكرهم، كلهم أبناء عمومة تولوا السلطة في شبام بعد أن أزالوا منها دولة الأسداس. بيد أن التنافس <١١٣> بين أبناء العمومة هؤلاء أدّى إلى تدخل الأجانب في شئونهم. ولقد فضَّل آل جميل الرضوخ لمشاركة آل عامر (نهد) في حكم شبام تشفيًا في بني عمهم الأقوياء آل حسن، واستمر حالهم على هذا المنوال حتى أجلاهم آل كثير عن شبام، عما بقي بأيديهم من قرى (سَوَاد بني ضنّة). والمقصود بسواد بني ضنّة المنطقة التي يسكنها آل كثير اليوم بين تريس وشبام. وقد انتزع آل كثير من آل جميل سنة ٨٢٤ هـ (١٤٢١ م). وبذلك انتهت هذه الدولة.

مشائخ حضرموت:

المشائخ بحضرموت، يشكّلون كالعلويين طبقة اجتماعية عُرف بعض رؤسائها بالصَّلاح والتفقّه في الدين والتصوف والنفوذ السياسي. وكانوا موضع تَجِلّة واحترام الحكام ورؤساء القبائل الذين منحوا بعضهم امتيازات خاصة كالإعفاء من العوائد. وقبول شفاعاتهم واعتبار قُراهم مناطق مأمونة. وبالمقابل كان المشائخ وخاصة آل عباد وآل باوزير وآل العمودي يقفون إلى جانب القبائل. وينظر العوام إلى المشائخ نظرة تقدير ويتبركون بقبور الصالحين من أجداد

العلويين، ويقيمون لها الزيارات الموسمية. وكان الحكام ورؤساء العشائر يستعينون بالمشائخ، كما يستعينون بالعلويين، لنشر الدعاية لهم، ولتثبيت نفوذهم بين الناس، وللسعي في إصلاح ذات البين بينهم، وللقيام بخفارة القوافل والمسافرين على السُّبُل العامة أيام الفتن بين الحكام والقبائل.

ومن المشائخ وكذلك كان العلويون من يحمل السلاح وخاصة <١١٤> أُولئك الذين يسكنون المناطق البدوية وفي نظام الطبقات[٥١] السائد بحضرموت يُعد المشائخ في الدرجة الثانية، بعد العلويين، في السلَم الاجتماعي.

وفي مجال التمايز الطبقي الرَّجعي، فإن المشائخ، على أي حال، أقل تزمتًا من العلويين من حيث التزاوج (رجالًا ونساء) مع القبائل وغيرهم من طبقات المجتمع الحضرمي الأخرى.

ومن المشائخ - وهذا هو شأن القبائل - من يُنزل نفسه، بسبب الفقر أو الضعف إلى طبقة الفلاّحين أو الحرفيين أو العمال المساكين.

وعندما قدِم جد العلويين - المهاجر - إلى حضرموت كان المشائخ في طليعة المرحّبين المناصرين له، كما كانوا من المؤيدين لأحفاد المهاجر عندما طالبهم بعض الحضارمة بإثبات نسبتهم إلى البيت النبوي[٥٢]، وكان ذلك بحوالي قرنين ونصف من السنين بعد وفاة المهاجر.

ومن أظهر مشائخ حضرموت آل بافضل وآل باوزير، وآل العمودي، وآل باعبَّاد، وآل الخطيب، وآل باهرمز، وآل باسهل، وآل بامخرمة، وآل باجابر، وآل الزبيدي، وآل باجمَّال وغيرهم كثيرون ذوي الجاه والذين لا يغض من قدرهم عدم ذكرهم في هذا «المختصر».

(**٥١**) للمزيد من نظام الطبقات بحضرموت اقرأ كتابنا (نظام الطبقات بحضرموت).

(**٥٢**) سار حفيد المهاجر علي بن أحمد بن أبي جديد (توفي بمكة سنة ٦٢٠ هـ - ١٢٢٣ م). إلى البصرة وأثبت نسبهم عند قاضيها وأشهد على شهادة القاضي نحو مائة شاهد ممن يريد السفر إلى الحج ورقب بمكة حجاج حضرموت على أولئك الشهود، وممن أيد صحة نسبتهم من المشائخ محمد بن أبي الحُب (توفي سنة ٦١١هـ) وفضل بن عبد الله بافضل.

والمشائخ الذين لعبوا أدوارًا هامة وخطيرة في تــاريخ حــضرموت الــسياسي ينتمون إلى اسر ثلاث هي:

أسرة آل عمودي (وقد سبق ذكرهم، وآل با عباد، وآل باوزير). <١١٥>

آل باعبّاد :

يرجع نسب هذه الأسرة إلى الشيخ عبد الله بن محمد باعباد المشهور بـــ(القديم) ولد الشيخ القديم بمدينة شبام، وتُوفي بالمحلة (الغُرُفَة) ودُفن بمقبرة شبام سنة ٦٨٧ هــ (١٢٨٨ م). أما والده فقد تُوفي بالشحر سنة ٦٢٢هـــــ (١٢٢٥ م) ودفن بمقبرة الشيخ عمرو بن أحمد بالشحر.

وكان الشيخ القديم يتمتع، في كثير من جهات حضرموت وما جاورهــا، بالجـــاه الواسع والكلمة النافذة والمريدين الكثيرين.

وقد اعتاد القديم قضاء أيام الخريف (خريف التمر والرّطب) خارج شبام في مكان بمنطقة (الحَول) يُطلق عليه اسم (المحلَة) وكلمة (المحلة) يستعملها حــضارمة الداخل إلى اليوم على المكان الذي يقضون فيه فصل الخريـــف. وأقـــام القـــديم بمحلته مسجده المعروف.

ثم تحّول القديم من شبام إلى قرية (الغُرَيْب) على إثر نزاع ثار بينه وبين والـــي شبام حينئذ الأمير محمد بن محمد ناجي. فأنشأ دارًا له بالمحلة سمّاها (الغرفة) وتديرها طيلة أيام السنة.

وبعد وفاة القديم جاء خلفه الشيخ محمد بن عمر بن عبد الرحمن باعباد وبنـــى دارًا إلى جوار (الغرفة) سنة ٧٠١ هــ (١٣٠١ م) فتكاثرت الــديارمن حولهـــا وكانت النتيجة أن قامت مدينة سُمّيت (الغُرفة) أي الجنة نسبة إلى الدار الأولـــى التي بناها في محلته الصَّيفية الشيخ القديم، وأصبحت (الغرفة) المقر الرئيـــسي لمشائخ آل عباد.

ومن هذه المدينة المباركة انتشر آل عباد في الربوع <١١٦> الحضرميّة، ولهم في بعض نواحيها مشاهد وأضرحة مشهورة.

آل باوزير:

في بداية القرن السادس الهجري (١١٠٧ م) وُلد في مدينة (بغداد) يعقوب بن يوسف بن علي بن طراد.

تُوفي والد يعقوب وهو صبي صغير فكفله جده علي بن طراد وكان وزيرًا (من هنا جاءت تسمية آل باوزير) لأحد الخلفاء العباسيين. ومات جده سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م).

وهاجر يعقوب بن يوسف هو وابناؤه عمر، عبدالله، ويوسف، وحفيده سالم بن عبدالله إلى حضرموت، ونزلوا بقرية (المكلا) وكانت هذه القرية حين قدوم آل الوزير (أو آل باوزير) إليها مكونة من عدة أكواخ للصيادين مقيمين بها، وتقع القرية إلى جنوب كُثيب أبيض، يطوق المنطقة المعروفة بحي الشهيد خالد، ومات يعقوب بالمكلا سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) ودُفن بكثيبها الأبيض (الذي يُعرف اليوم بتُربة يعقوب) وأُقيمت على قبره، في تاريخ متأخر غير معروف قبته المشهورة القائمة إلى يومنا هذا.

وقد أقام أحد السلاطين آل كساد مقبرة لتكون مدفنًا لأمواته بجوار قبر الشيخ يعقوب. ولم تطب الإقامة لابناء يعقوب بن يوسف بقرية المكلا فارتحلوا إلى مدينة الشحر وكانت حينئذ مدينة عامرة على الساحل الحضرمي. ومن الشحر ودُفن بمنطقة الخُور. ولم يخلّف عَقِبًا. ومات عبدالله (وكان يُلَّقَب بالشيرازي)[٥٣] بالشحر، وهو المعروف (بمولى المَحَطَة) وقبره معروف وقائم إلى اليوم. وخلَّف عبد الله ابنا اسمه (محمد) <١١٧> وهو الجد الأول لآل باوزير جميعهم وهو أيضًا المعروف بـ (مولى عَرْف)[٥٤]. وخلَّف محمد ثلاثة أبناء هم:

أبو بكر، وهو جد آل باوزير بمنطقة حورة والنقعة المجاورة لها، وصاحب المسجد الجامع بحورة والصدقات والأوقاف التي بتلك المنطقة.

---

(٥٣) لأنه كان قد سافر من بغداد إلى شيراز وتزوج بها أم ابنه سالم.

(٥٤) لأنه ولد وتوفي بها.

سعيد، وهو جد آل باوزير سكان قرية (النَّقعة) المجاورة لمدينة (غيل باوزير).
وقد خلَّف سعيد ابنا اسمه (أحمد) وهو صاحب القبر الذي تُقام له زيارة النقعة المشهورة عند البدو والحضر.

عمر، وهو المدفون بالغيل الأسفل سنة (٧١٢ هـ) (١٣١٢ م) والذي عُرف فيما بعد باسم «غيل عمر» بوادي (عِدِم). ومات عمر بالغيل الأسفل ودُفن بها وقبره يُزار إلى اليوم. وخلّف عمر ابنا اسمه (عبد الرحيم) وهو المدفون بمدينة الغيل والتي عُرفت فيما بعد بغيل باوزير سنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) وقد تُوفي عبد الرحيم بغيل باوزير سنة ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م). وإلى هؤلاء المشائخ ينتمي بقية المشائخ آل باوزير المنتشرون في الجهات الحضرمية وخارجها. ومما اشتهر به المشائخ آل باوزير ويُذكر لهم بكل خير ديار الصدقة لعابري السبيل في أرجاء متعددة من أودية حضرموت وكانوا يوقفون النخيل والأراضي الزراعية على هذه الديار لتُصرف إيراداتها في إيواء المسافرين والغرباء وإطعامهم مجانًا ولوجه الله ويعينون على نفقة الوقف رجالًا معروفين بالأمانة والنزاهة «ليقوموا بواجب الضيافة لعابري السبيل». <١١٩>

***

الفهرس

***